السبت 16 تموز 2022
العدد 4679 السنة السادسة عشرة
Samedi 16 Juillet 2022 nº 4679 16ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

فاتح المدرّس...
«كافكا الجبال»
مطلّاً على فراغ
الكون

معتقلو الإمارات: صورة الأمين العام لحزب الله جريمة لا تُغتفر! [2]

هل ضمن نصرالله دعم باسيل لفرنجية؟ [3]

(هادي نصر الله)

قضية

معتقلو الإمارات: صورة نصرالله جريمة لا تُغتفر!

خلف ناطحات السحاب الإماراتية، دولة بوليسية تتعامل بازدراء مع فئة من اللبنانيين، بسبب انتمائهم الطائفي، عبر جعلهم أهدافاً أمنية محتملة، واعتقالهم تعسّفاً على الشبهة، وغالباً بتهم ملفّقة تُنسب إليهم لـ«المسّ» بوحدة الإمارات ومصالحها وتشكيل تهديد لها! قبل أكثر من شهر انضمّ اللبناني حسين نحال ونجله محمد، إلى 7 معتقلين آخرين، 5 منهم حوكموا بقضايا تصل عقوبتها إلى المؤبّد، استناداً إلى «أدلة» و«قرائن» أخطرها حيازة صورة للأمين العام لحزب الله!

عبدالله قمح

في «الحرب» التي تشنّها دولة الإمارات على حزب الله، كل لبناني يقبع على أراضيها مشتبه فيه حتى تثبت إدانته. و«التهمة»، غالباً، هي التخابر مع حزب الله وتأليف خلايا تعمل لمصلحته والتحضير لمهاجمة مصالح داخل الدولة أو الاتصال بمنتمين إلى الحزب (حتى ولو كانوا أفراداً من العائلة)، وتمويل الحزب رغم أن أعلاهم دخلاً لا يتقاضى أكثر من 1300 دولار في الشهر!

هذا ما بيّنته خلاصة الأحكام التي حصلت عليها «الأخبار»، والصادرة بحق 11 لبنانياً حوكموا في جلسة علنية في أبو ظبي في أيار 2019، في ما يُعرف بـ«القضية 38» بتاريخ 2018.

> غالبية «القرائن» في الهواتف الخلوية العائدة للمتّهمين يجري تداولها على وسائل التواصل كمواد إخبارية

تبيّن وقائع المحاكمة أن «أدلة» الاتهام تعاني من عطب جوهري في بنيتها وطبيعتها، وهو ما ينسحب بطبيعة الحال على المحاكمات التي خضع لها معتقلون آخرون في قضايا مشابهة، إلى جانب عدم معرفة «أعضاء الخلية» المزعومة بعضهم بعضاً أو اقتصار العلاقة بين بعضهم على التشارك ضمن نطاق العمل، كما أن غالبية «القرائن» أُخذت من الهواتف الخلوية العائدة للمتّهمين. وبحسب خبراء في القانون، لا يمكن اعتبار هذه المواد أدلة نظرياً في أي قانون لأي دولة، كونها محتويات يجري تداولها على وسائل التواصل كموادّ إخبارية. وتُراوح «القرائن» التي استخدمها جهاز أمن الدولة الإماراتي كـ«أدلة» على ضلوع الموقوفين في «جرم» الانتماء إلى حزب الله وتأليف «خلية» أمنية، بين أشرطة فيديو لمقاتلين من حزب الله خلال الحرب السورية متداولة عبر مواقع التواصل، وصور لشهداء ومقاتلين أو للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران السيد علي خامنئي، وأشرطة دينية وأخرى لأنشطة على صلة بمناسبة عاشوراء تدل على الانتماءات المذهبية للموقوفين.

(أ ف ب)

فنجان قهوة لتفجير المطار

المعتقل عبد الرحمن شومان المتهم بقيادة «خلية» للحزب وتمّت محاكمته على هذا الأساس، أوقف عام 2018 في مطار دبي. وزعم «أمن الدولة» أن شومان «عضو نشط في حزب الله وتم تجنيده لتنفيذ مهمة أمنية». تُظهر التحقيقات المنسوبة إليه، أنه كان يجري «مناورة» لمحاكاة تنفيذ تفجير في المطار؛ واستند جهاز «أمن الدولة» في هذه الفرضية إلى أن المعتقل ترك حقيبة سفره في مكان بعيد عنه نسبياً «للوقوف على مدى سرعة استجابة الأجهزة الأمنية داخل المطار»، علماً أن شومان أكّد خلال المحاكمة أنه ابتعد قليلاً عن حقيبته لشراء فنجان قهوة من مكان قريب فيما كان يُجري مخابرة هاتفية!

«اصطياد» شومان شكّل «هدية» لـ«أمن الدولة» لتركيب ملف له ربطاً بوظيفته في مجال أمن الطيران في شركة «طيران الإمارات». أحد «الأدلة» على «ارتباطه» بحزب الله كان احتواء هاتفه المحمول على شريط فيديو مصدره «قناة الميادين» يتحدث عن سير «معركة جرود فليطة» في 6 حزيران 2015، إضافة إلى رسالة عبر إحدى مجموعة «الأخبار» على «واتساب» جرى تداولها على نطاق واسع حينه، تطلب «مقاطعة محالّ تجارية وأفران مشهورة في لبنان بتهمة دعم التكفيريين في سوريا»، وقد اعتبرها جهاز «أمن الدولة» الإماراتي بمثابة «رسالة توجيه حزبية واردة من قيادة حزب الله في لبنان».

طبيعة وظيفة شومان في مجال الطيران أدّت إلى التوسع في تلفيق تهمة استغلاله لمنصبه لالتقاط صور للمطار إضافة إلى حيازته منشورات لمسارات طائرات، أكد شومان أنها تندرج ضمن طبيعة وظيفته وإلمامه بالطيران المدني.

«جريمة» صورة الأسد

المعتقل حسين برده (أفرج عنه في وقت لاحق عام 2019) واجه «الأدلة» نفسها تقريباً. كما تضمّنت التحقيقات معه «اعترافات» بلقائه مسؤول ما يسمى «الملف الإماراتي» في الحزب وتوكيله بمهام نفّى علمه بها خلال المحاكمة. وقد عُثر في هاتفه على صور متداولة على الصفحات الإخبارية بثّتها قناة «المسيرة» اليمنية حول معارك عدن، إضافة إلى صورة تعود لشخص يحمل مسدساً. وعُثر في هاتف آخر يعود إليه على صور للأمين العام لحزب الله وصور لحرائط مناطق تدور فيها معارك عسكرية في سوريا كان يجري تداولها على نطاق واسع حينها، إضافة إلى صور دينية من وحي عاشوراء، وصورة للرئيس السوري بشار الأسد!

واتُّهم برده بأن «القيادي» في الحزب علي نور الدين جنّده، وأنه ألحق بـ«خلية شومان»، وكان من مهامه المساهمة في تنفيذ العملية الأمنية في المطار، واستقصاء عن معلومات حول أوضاع «العائلات الشيعية» في الإمارات، ومحاولة تأمين تمويل للحزب من قبلها.

الأمر نفسه تكرّر مع المعتقل الثالث (المفرج عنه) أحمد أمين صبح، الذي وُجّهت إليه تهمة لقاء أحد من تتهمهم الإمارات بأنه المسؤول عن «الملف الإماراتي» في حزب الله، وعُثر لديه على «بندقية هوائية» غير مرخّصة اعتُبرت دليلاً على وجود نية للهجوم على المطار!

كل الموقوفين الذين خضعوا للمحاكمة في القضية الرقم 38 أنكروا الاتهامات، وتحدث شومان خلال المحاكمة عن تعذيب وإكراه تعرّض لهما للتوقيع على اعترافات لم يدلِ بها، وأنكر معرفته بعدد من الموقوفين الذين وردت أسماؤهم كأعضاء في «الخلية» كجهاد فواز.

«تلفيق التهم» و«عدم كفاية الدليل» و«انتفاء أركان الجريمة والقصد الجرمي» و«تناقض أقوال الشهود» و«عدم معقولية الوقائع المسرودة في التحقيقات»، كلها عبارات وردت في مرافعات المحامين الذين عيّنتهم الدولة الإماراتية للمرافعة عن عدد من الموقوفين، ومنهم محامو عبد الرحمن شومان، حسين برده، أحمد أمين صبح، مصطفى حسين كريم، حسين إبراهيم زعرور، علي ناصيف فواز، محسن قانصوه وجهاد علي فواز. والأخير الذي اعتُبر شاهداً على وجود «الخلية» وصدر حكم ببراءته لاحقاً، أكد محاموه أنه ليس شاهداً على كل ما نُسب إليه أو ما جرى اتهامه به.

رغم ذلك، رفضت المحكمة الإقرار بصحة وجود تعذيب، وثبّتت مضمون التحقيقات على أساس أنها «طبيعية ولم يرد فيها أي شيء يوحي بارتياب». وقالت إنه لم يظهر لديها أي دليل حول إكراه بالنسبة إلى الموقوف شومان، متجاوزة أن الاعترافات «تحت التعذيب» تم تقديمها قبل مدة من المحاكمة، وادّعاء المحكمة بانتفاء فرضية التعذيب «غير سويّ» بالمعنى القانوني لذوبان الدليل بعامل الوقت.

«القضية 38»

ضمّت القضية 38 تاريخ 2018 (تخابر لمصلحة حزب الله) 11 لبنانياً هم: علي نور الدين، إسماعيل ملاح، فادي علي سعد، عبد الرحمن طلال شومان، حسين محمد برده، أحمد نمر، محمد أمين صبح، مصطفى حسين كريم، حسين إبراهيم زعرور، علي حسين ناصيف فواز، محسن عبد الحسين قانصوه وجهاد محمد علي فواز.

وفيما ثبت خلال المحاكمة التي شهدها مقر قاعة الاتحاد في أبو ظبي، في 15 أيار 2019، اعتبار الموقوفين كريم وزعرور وفواز وقانصوه وفواز أبرياء، رغم حيازتهم نفس الأسباب الاتهامية، أدانت المحكمة المتهمين غير المقيمين في الإمارات نور الدين وملاح وسعد غيابياً، وزعمت أنهم «قادة» في حزب الله يقفون خلف تشغيل «الخلية» وتجنيد أفرادها، فيما حُكم على شومان بالسجن المؤبد واتُّهم بـ«إدارة الخلية في الدولة». وأدين كل من برده وصبح بتهمة عضوية الخلية وصدر حكم بسجنهما 10 سنوات، وأُفرج عنهما في عام 2019 مع مجموعة من الموقوفين بعد وساطة للمدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، فيما رفضت السلطات الإماراتية الإفراج عن شومان.

«التخابر» مع حزب الله

يبلغ عدد المعتقلين اللبنانيين في الإمارات حالياً 9، بعدما انضمّ إليهم قبل نحو شهر حسين نحال ونجله محمد. نحال الأب الذي كان مقيماً في الإمارات، اعتُقل لدى وصوله إلى المطار. وبعد أيام اعتُقل نجله بتهمة التواصل مع ناشطين لبنانيين وتسريب معلومات إليهم حول توقيف والده، ما أدى إلى وصول تفاصيل القضية إلى مكتب اللواء عباس إبراهيم. وقد انقطع الاتصال بهما منذ توقيفهما.

والمعتقلون السبعة الآخرون هم:

- عبدالله هاني عبدالله (الخيام)، اعتُقل في 26 أيلول 2013 وحُكم مؤبّداً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- أحمد علي مكاوي (طرابلس)، اعتُقل في 14 تشرين الأول 2014 وحُكم عليه بالسجن 15 عاماً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- علي حسن مبدر (صيدا)، اعتُقل في 20 تشرين الثاني 2014 وحُكم مؤبّداً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- عبد الرحمن شومان (بيروت)، اعتُقل في 15 كانون الثاني 2018 وحُكم مؤبّداً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- أحمد فاعور (الخيام)، اعتُقل في 18 شباط 2019 وحُكم عليه بالسجن 15 عاماً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- فوزي دكروب (الخيام)، اعتُقل في 18 شباط 2019 وحُكم عليه بالسجن 15 عاماً بتهمة «التخابر» مع حزب الله.
- وليد إدريس (البقاع)، اعتُقل في 23 كانون الأول 2020 ولا يزال قيد المحاكمة.

في الواجهة

فرنجية رئيساً برضى باسيل؟

مع ان تأليف الحكومة، كما الدوران من حول حكومة تصريف الاعمال، يتصدّران واجهة الاهتمامات والسجالات، ومن خلالها التأويلات والتوقّعات، إلا ان معظم الافرقاء باتوا الان - او يكادون - في فلك الانتخابات الرئاسية الوشيكة

نقولا ناصيف

المهلة الدستورية لانتخاب الرئيس الجديد للجمهورية على الباب. تبدأ بعد شهر ونصف شهر. ملزم انتخاب الرئيس في خلالها في حد اقصى شهران، إلا أن موعدها الإجرائي لا يبدأ بالضرورة منذ يومها الأول، ربما تحتاج إلى استنفاد معظمها وأحياناً كلها. قد يحدث - وقد حدث بالفعل ثلاث مرات قبل اتفاق الطائف وبعده - ان تمر من دون ان يُنتخب الرئيس الجديد. لكن يحدث أيضاً بعد أن تنقضي، وتطوى عندئذ صفحة احترام الدستور والتزام أحكامه، انتخاب الرئيس خارجها كأمر واقع فلا ينشأ إذّاك عن واقع دستوري طبيعي.

الأفرقاء جميعاً يتحدثون في الوقت الحاضر، بقليل من الاهتمام بتأليف حكومة جديدة أو بعث الروح في حكومة تصريف الأعمال، عن الانخراط في الاستحقاق الرئاسي شبه الموضوع كلياً بين يدي فريق واحد، هو الثنائي الشيعي. يتقاسم دورتيه رئيس البرلمان نبيه برّي والأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. لدى الأول، الصلاحية الدستورية الحصرية لتوجيه الدعوة إلى انتخاب الرئيس بحسب المادة 73، من اليوم الأول في المهلة الدستورية (الساعة الصفر منتصف ليل 31 آب)، إلى الساعة الصفر ليل اليوم الذي يسبق اليوم العاشر لانتهاء المهلة عندما يصبح المجلس في انعقاد حكمي بلا دعوة. أما لدى الثاني، فإدارة الاستحقاق الرئاسي بما يمثّل من فائض قوة في الداخل يمكّنه من ان تكون له الكلمة الفصل في كل ما يحدث في البلاد. لا يحتاج فائض القوة إلى أدلة إضافية، كان آخر مظاهرها مساء الأربعاء المنصرم.

ليس ثمة قيد يلزم رئيس المجلس بتوجيه الدعوة إلى جلسة انتخاب الرئيس في اليوم الأول للمهلة الدستورية، ولا في الأسبوع الأول ولا في الشهر الأول حتى، إلا أنها واجبة قبل اليوم العاشر لانتهائها قبل أن يفقد الصلاحية هذه. لذا غالباً ما غدا توجيه الدعوة ثمرة جهود يبذلها رئيس المجلس -ذلك ما كان يحصل قبل اتفاق الطائف - لتوفير أوسع توافق على رئيس جديد للبلاد، كما على إدارة الاستحقاق بين متنافسين. أما ما لدى توأمه الآخر، وهو حزب الله، فيكاد يكون الفريق الوحيد الذي له مرشحان علنيان لرئاسة الجمهورية دونما أن ينبري أحد، من بين سائر الأفرقاء الآخرين، يجهر بأن لديه من الآن مرشحاً للرئاسة المقبلة. البعض من حول مرشحين دوريين، يوصفون في الغالب طبيعيين، يأتون على ذكرهم أو يوحون بترشحهم.

قبل الانتخابات النيابية العامة المجراة في 15 أيار الفائت، افتتح الانخراط في الانتخابات الرئاسية في الإطار الذي جمع فيه نصرالله النائب جبران باسيل والنائب السابق سليمان فرنجية، المرشحَيْن الشماليَّيْن المتنافسَيْن، حليفيْ حزب الله وفي الوقت نفسه العدوَّيْن أحدهما للآخر، في 8 نيسان، وتحدثوا في ما سيلي الانتخابات النيابية الشهر التالي. مذّاك نُظر إلى هذا اللقاء على أنه صفّارة انطلاق. عزّز هذا اليقين عبارة أطلقها بعد أقل من شهرين، في 22 أيار، باسيل في مهرجان إعلانه الانتصار في الانتخابات النيابية، بأن وصف فرنجية بأنه «يبقى أصيلاً». كانت العلامة البارزة بأن ثمة ما حدث بينه وبين خصمه في ضيافة نصرالله.

لأنّ كليهما مرشحان، ولأنهما - وقد يكون ذلك مؤلماً ومحزناً أكثر - يستمدان قوتيْهما في الانتخابات النيابية وتحالفاتها وتأليف الحكومات كما في المعادلة السياسية وتوازن القوى الداخلي من نصرالله وحزبه، يصبح من الطبيعي الجزم بأن حسم تنافسهما بين يدَي المرجعية تلك، المعتادة على فضّ خلافات فريقيْهما. فعلت ذلك عام 2015 عندما رشّح الرئيس سعد الحريري فرنجية للرئاسة، فغلّب حزب الله كفة ترشيح الرئيس ميشال عون على كفته. تراجع الثاني وتقدّم الأول وترأس الجمهورية.

حينما التأم الإفطار الثلاثي لم يُفصَح عن مداولاته في ما بعد، ما خلا إشارات عابرة تناولت الانتخابات الرئاسية والنيابية وسواهما. بانقضاء وقت على اجتماعهم، واقتراب موعد الاستحقاق، ورسائل الود والانفتاح المتبادلة بين الحليفيْن اللدودين، يصير متاحاً أكثر من ذي قبل، وربما ضرورياً، الكشف غير المباشر عن بعض ما جيء عليه في الإفطار.

فيما قبل إنّ اللقاء الثلاثي طرقَةُ مخاطبة نصرالله باسيل وفرنجية معاً بالقول إن الانتخابات الرئاسية المقبلة يوليها حزب الله أهمية كبرى، خصوصاً مع قرب ولوجهما الانتخابات النيابية. إلا أنه جزم لهما أن الحزب حريص على أصدقائه وحلفائه والوقوف إلى جانبهم.

قال إن كلَيْهما حليف له. سبق أن التزم الوقوف إلى جانب عون، وعندما التزم الحزب الوقوف إلى جانبه كان برضى فرنجية. اليوم الحزب أمام التزام جديد حيال فرنجية، يريده أن يحصل برضى باسيل على نحو ما حدث قبل ست سنوات.

> التزام 2015 يتكرر في عام 2022 معكوساً

ما نُقل عن نصرالله قوله: إذا لم يُنتخب فرنجية في الانتخابات الرئاسية المقبلة، قد لا تسنح له الفرصة في ما بعد، في حين أنها تسنح لباسيل.

أضاف مخاطباً رئيس التيار الوطني الحر: اقتراحنا أن تكون الرئاسة المقبلة لفرنجية، على أن تكون أنت شريكاً كاملاً في العهد المقبل. يحقق لنا ذلك هدفيْن هما شراكتك في المرحلة المقبلة ووقوفك إلى جانب الرئيس، وتكون وقتذاك أعدت مراجعة موقع التيار ودوره ورددت عنك كل ما تعرّضت إليه في الآونة الأخيرة.

جواب باسيل كان نصف موافقة نهائية، في انتظار أن يحمل هذا الخيار في الوقت المناسب إلى التيار الوطني الحر لإجراء مناقشة له، في نهاية المطاف لن تقف حجر عثرة في طريق قرار الأمين العام لحزب الله.

لم يطل الحديث في الاستحقاق الرئاسي سوى دقائق. من بعد استغرق الإفطار الطويل في ملفات محلية وإقليمية تجاوزته. أنبأ موقف نصرالله أنه حسم إلى حد بعيد، تبعاً للمعطيات القائمة حتى هذا الوقت، دعمه ترشيح النائب السابق لزغرتا الذي لا يصطدم حكماً بجدران اعتراضات أساسية أو مانعة. عام 2015 أيّده بعد ترشيح الحريري له، برّي ووليد جنبلاط. لا ينتظر حزب الله موافقة حزب القوات اللبنانية ولا يحتاج إليها. انضمام باسيل إلى هذا المعسكر، بعد أن يجتمع من حول ترشيح فرنجية الحلفاء، يجعل انتخابه حتمياً من الدورة الثانية للاقتراع بالأكثرية المطلقة، بعد أن يكون التأم في القاعة 86 نائباً، هم غالبية الثلثين المقيّدة لافتتاح الجلسة وإجراء دورات الاقتراع المتتالية.

لا أحد من الأفرقاء يتحدث من الآن عن احتمال مقاطعتها. في أحسن الأحوال يُبدون براءتهم والنية الحسنة على الأقل.

أمّا ما يكمن في صلب إرادة حزب الله ترشيح فرنجية، فهو سعيه . ويتردّد أنها خطته المقبلة بدأ أول تباشيرها . إلى أن يحوط به أوسع تأييد سياسي. انفتاح التيار الوطني الحر على جنبلاط، ومن بعد لقاء اللقلوق بين باسيل والنائب فريد الخازن، أضف إلى ذلك ما يُنتظر من خطوات مماثلة في مواعيد لاحقة، كلّ ذلك ليس سوى حلقات في سلسلة.

نصرالله لباسيل: ملتزمون مع فرنجية ونريده ان يكون برضاكم (أرشيف ـ مروان طحطح)

علم وخبر

المماطلة القضائية مستمرّة

رغم اكتمال التبليغات، لم تُصدر القاضية جمال خوري حتى الآن قراراً في الطلب المقدّم من أحد الموقوفين في قضية انفجار المرفأ لنقل الدعوى من يد المحقّق العدلي القاضي طارق البيطار. ورجّحت مصادر «العدلية» أن يتأجّل النظر في الطلب إلى ما بعد العطلة القضائية، علماً أن رئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود أكد في لقاء سابق مع أهالي الموقوفين أنه سيساعد في إصدار القرارات سريعاً، وهو ما لم يقم به.

البخاري يتجاهل ريفي

أكّد قريبون من النائب أشرف ريفي استياء الأخير الشديد من تجاهل السفير السعودي وليد البخاري زيارة اللواء السابق خلال جولته على طرابلس مطلع الشهر الجاري، فيما نقل زوار للسفارة السعودية أن البخاري تعمّد ألا تشمل الجولة ريفي، رغم أن أوساط الأخير عزت الأمر يومها إلى «أسباب خاصة».

«أمن الدولة» ينصرف عن الصيارفة

شكت مصادر أمنية من ضعف إجراءات المديرية العامة لأمن الدولة لإنهاء ظاهرة «الصرّافين الجوّالين» الذين ينتشرون على التقاطعات الرئيسية في الضاحية الجنوبية لبيروت. ولمّحت إلى أن هؤلاء يزاولون عملهم بغضّ نظر وبحماية من «زعامات عشائرية».

الشكوى ضد إسرائيل عالقة

آخر وجود رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي في الخارج إنجاز الشكوى التي يُفترض أن يرفعها لبنان إلى مجلس الأمن الدولي ضد انتهاكات العدو الإسرائيلي للسيادة اللبنانية جواً وبراً وبحراً. مصدر رسمي اعتبر أن التأخير «غير مبرّر»، لأن تقديم الشكوى لا يحتاج إلى المرور بقناة التشاور بين الرؤساء، ويمكن لوزارة الخارجية تقديمها بعد إبلاغ المعنيّين.

قضية

أيّ ترقيع لأجور القطاع العام الاثنين المقبل؟

(هيثم الموسوي)

يعقد يوم الاثنين المقبل اجتماع في السرايا الحكومية برئاسة رئيس الحكومة نجيب ميقاتي وبحضور وزير المال يوسف الخليل من أجل عرض مجموعة من الاقتراحات المتّصلة بإنهاء إضراب موظفي القطاع العام. وجرى التحضير للاقتراحات التي ستعرض في هذه الجلسة، في اجتماع عقد في معهد باسل فليحان حيث يجري تحضير ورقة تتضمن زيادة تدريجية لأجور العاملين في القطاع العام من دون أي ذكر لشكل هذه الزيادة، أو لتمويلها سواء عبر السياسة النقدية أو من خلال الخزينة.

وبحسب المعلومات التي جرى التكتم عليها، فإن وزير المالية يوسف الخليل يميل إلى اقتراح أساسي يتعلق بمنح العاملين في القطاع العام زيادة تدريجية تضاعف الرواتب الشهرية التي تبلغ اليوم راتبين (واحد أصلي وواحد مساعدة اجتماعية) إلى ثلاثة رواتب فوراً، ثم زيادتها في مطلع السنة المقبلة إلى أربعة رواتب شهرياً، ثم بعد سبعة أشهر إلى خمسة رواتب. عملياً، ستضاعف الرواتب خلال فترة تمتد لغاية أول تموز العام المقبل مرتين ونصف مرة.

وكان عدد من المديرين العامين قد طرحوا في اجتماعات دعت إليها رئيسة مجلس الخدمة المدنية، نسرين مشموشي، تصحيح أجور القطاع العام من خلال آلية نقدية كالتي منحت للقضاة، إنما لا تكون أكثر من 30% من الراتب الذي يفترض تحويله إلى الدولار بالسعر النظامي 1507,5 ليرات وسطياً، ثم إلى الليرة على سعر 8000 ليرة. وبحسب مصادر في مصرف لبنان، فإنه لا يمكن تحويل كل رواتب القطاع العام إلى عدد يتجاوز 300 ألف موظف وفق هذه الآلية، لأن الكلفة النقدية ستكون هائلة، إذ سترتفع الكتلة النقدية لتسديد هذه الأجور من 800 مليار ليرة شهرياً إلى 4300 مليار ليرة.

كذلك، يطرح في السياق نفسه، أن يمنح موظفو القطاع العام تعديلات على المخصصات المتعلقة بالتقديمات الاستشفائية والتعليمية، إنما لا يزال الأمر غير واضح بعد.

وكانت مشموشي قد تواصلت مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي ووعدها بإيجاد حل. ورفضت أن تقول لـ«الأخبار» ما هي الطروحات على جدول أعمال اجتماع الاثنين المقبل، لكنها قالت إن رأيها الشخصي هو أن يكون الحل لمصلحة الموظفين وللمصلحة العامة أيضاً، وإلا يكون إلا عبر المالية العامة. ما لم تقله هو أنها ترفض أن يكون الحل عبر السياسة النقدية وعبر مصرف لبنان.

على أي حال، كل ما هو مطروح لغاية اليوم على جبهة تصحيح أجور العاملين في القطاع العام، بكل أشكاله وتفريعاته، هو أمر من اثنين: تصحيح الأجور بنسب أدنى من المستحق مقابل زيادة الدولار الجمركي، أو تصحيح الأجور عبر إقرار تحويلها إلى الدولار عبر قرارات تصدر عن حاكم مصرف لبنان. وبهذا المعنى، يصبح مفهوماً الهدف من التصريح الذي أدلى به رئيس مجلس النواب نبيه بري عندما طلب تجميد قرار حاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي منح القضاة بموجبه زيادة على الأجور 5,3 أضعاف ما كانت عليه بشطحة قلم منه ممولة بالسياسة النقدية. بري أشار إلى أن هذا «التفاوت سيؤدي الى انهيارات أكبر من الانهيار المالي والاقتصادي الحاصل وسيكون له تداعيات اجتماعية واقتصادية لا تحمد عقباها». وهو بالفعل ما تفاعل معه سلامة سريعاً وجمّد القرار، لكن هل هذا يعني أن بري سيعقد صفقة مع ميقاتي على تمرير الدولار الجمركي من أجل تمويل تصحيح الأجور عبر الخزينة؟

ولغاية أمس، كانت وزارة المال تحضّر سيناريوات المالية المتوقعة للقرارات التي ستتخذ وكلفتها على الخزينة. بمعنى آخر، يتم التعامل مع تصحيح الأجور في القطاع العام باعتباره حدثاً معزولاً عن جوهر الأزمة في لبنان، بل باعتباره عرضاً هامشياً يمكن التعامل معه بشكل محاسبي يأخذ بالحسبان الأثر المالي على الخزينة والنفقات والإيرادات. لكن هذا الأمر لا يصل إلى محتوى النقاش في أصل السياسات الاقتصادية التي يجب إعادة الاعتبار لها وأولويات النهوض، ولا سيما أن الكل في لبنان ما زال عالقاً عند مسألة توزيع الخسائر.

(الأخبار)

تقرير

تشغيل مولّدات مطمر الناعمة قريباً؟

(هيلم الموسوي)

لينا فخر الدين

بعد أكثر من عام ونصف عام على توقفه، ينتظر أن يخرج الدخان الأبيض من المفاوضات الجارية لإعادة تشغيل معمل الكهرباء التابع لمطمر الناعمة قريباً. ومعه، يُفترض أن يفتح العاملون في المطمر أنابيب الغاز المنبعثة من النفايات التي تم طمرها على مدى 18 عاماً، لتصل إلى محطّة المشرف التابعة لمعمل الجيّة الكهربائي بغية إنتاج الطاقة لتغذية القرى المتضرّرة من إنشاء المطمر بحسب قرار مجلس الوزراء الصادر في العام 2016.

ويحاول المعنيون الاستعجال في تلزيم المعمل بعقدٍ يوقّع بالتراضي مع شركة Solution Energy clean باعتبارها الشركة التشغيلية الأولى للمولدات السبع الموصولة بالمطمر، إضافة إلى امتلاكها الوكالة الحصريّة للشركة السويديّة «بانبخر» المصنّعة للمولّدات وقطعها التشغيليّة.

هذا الاستعجال مردّه إنهاء المفاوضات قبل نهاية تموز عندما يصبح قانون الشراء العام الذي أقرّ العام الماضي ساري المفعول، ما يعني عدم جواز اتفاقيات التلزيم بالتراضي. بالتالي، فإنّ أي تأخير يعني أن الاتفاقيّة ستكون في «خبر كان»، وستعود الأمور إلى النقطة الصفر بوضع دفتر شروط جديد وفتح باب المناقصات لاستدراج العروض، ما يشير إلى إمكانيّة أن يطير المشروع برمّته سنة كاملة. وهذا ما دفع النائب أكرم شهيّب الذي يتابع الملف إلى العمل على «تجميع الموافقات» على العقد التلزيمي. وفي هذا السياق، استحصل على موافقة رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي ومن خلفه حاكم مصرف لبنان لتسديد كلفة المشروع من أموال قرض البنك الدولي المخصّص لتحسين قطاع الكهرباء والذي تبلغ قيمته 75 مليون دولار موجودة في مصرف لبنان.

كما ضغط شهيّب لإنهاء أزمة توقيع وزارة المال على المناقصة السابقة التي فازت بها شركة Mep-Simar (الأولى لبنانية يملكها كريم تحسين الخياط، والثانية تركية). إذ أرسلت الوزارة رفضها ما فتح الباب لإمكانية فتح باب المناقصات من جديد أو عقد اتفاقية بالتراضي.

أزمة ثقة

مع ذلك فإن هناك أزمة ثقة بين الدولة اللبنانية وشركة Solution Energy clean التي لم تحصل بعد على كافة حقوقها المالية من العقد الذي وقعته سابقاً وأنهت فيه مهمتها منذ أكثر من عامين، من دون أن تسدّد الدولة مستحقاتها البالغة مليون و200 ألف دولار. وهذا ما يجري العمل على حلّه بالدفع على سعر «اللولار»، فيما تتخوّف الدولة من تهرّب الشركة من العقد الجديد بعد قبض مستحقاتها المالية من العقد السابق، تماماً كتخوّف الشركة من عدم تسديد الدولة لمستحقات العقد الجديد. ولذلك، تُطالب Solution Energy clean بتقاضي كامل قيمة العقد البالغ 6 ملايين و660 ألف دولار أميركي مقابل تشغيل المولدات على 5 سنوات، أو تسديد نصف المبلغ بنصف المدّة التشغيليّة.

ولذلك، يتفاوض المسؤولون مع الشركة للوصول إلى حل قبل نهاية تموز. وعلمت «الأخبار» أن الحل قد يكون بتولّي الشركة مسؤولية الصيانة بعد أن تدفع الدولة قيمة القطع التشغيلية وقطع الغيار الخاصة بالمولّدات للساعات التشغيليّة الكافية لأقل من عامين ونصف عام على أن تقوم الشركة بتدريب فريق عمل تابع لـ«كهرباء لبنان» يتولّى مهمّة التشغيل ومراقبة العمل في معمل المطمر.

شهيب أكّد لـ«الأخبار» أن الحل «بات على الطريق لإعادة تشغيل المعمل خصوصاً أن الغاز المنبعث من المطمر يذهب هباء إضافة إلى أن كلفة الكيلوواط المنتجة منه تبلغ 3,5 سنت فيما تبلغ قيمة الكيلوواط الذي تنتجه شركة كهرباء لبنان نحو 20 سنتاً». ولفت إلى أنّ الحل الذي قد يتوصّل إليه الطرفان (الشركة وكهرباء لبنان) بعدم تشغيل كافة المولدات بل الاكتفاء بإنتاج أقل من 5 ميغا (ينتج المطمر 7 ميغا)، ودفع الدولة مقدّماً كلفة الماكينات التي تحتاج إلى صيانة ويمكن تشغيلها فوراً، قبل الماكينات التي تحتاج إلى تبديل وعمليّة صيانة أكبر وبالتالي كلفة أكبر.

شهيّب: حل أزمة كهرباء المطمر بات على الطريق

تقرير

إضراب الجامعة اللبنانيّة: «ياقاتل يا مقتول»؟

فاتن الحاج

في جلسة قانونية بمن حضر، انتزعت الهيئة العامة لأساتذة الجامعة اللبنانية إقراراً من الهيئة التنفيذية لرابطة الأساتذة المتفرّغين بإبقاء قرار الإضراب المفتوح والعودة عنه بيدها. وقد صوّتت الهيئة، بإجماع الحاضرين، على القرار الذي تذهب إليه الجامعة للمرة الثالثة هذا العام، وسط غضب كبير من الخروق «الفاقعة» لبعض عمداء الكليات ومديري الفروع لجهة رفض تعليق الامتحانات ومباريات الدخول ولا سيما في كليات الهندسة والزراعة والعلوم وغيرها. وكانت هناك مطالبات من بعض الأساتذة للرابطة بأن تشهّر بأصحاب الخروق وبأن «لا تخذلونا مجدداً». في المقابل، برّر من دافع عن خرق قرار التوقف القسري هذا الموقف بالقول إن «من أجروا الامتحانات في الفصل الدراسي السابق حموا الجامعة والطلاب».

في جلسة كان يُنتظر أن تكون «مصيرية» في مسار تحرّك أساتذة الجامعة وموظفي القطاع العام، لم تمتلئ، أمس، كراسي قاعة المؤتمرات في مجمع الحدث الجامعي بـ«الغاضبين». فمن أصل 1600 أستاذ في التفرّغ والملاك، لم يجاوز عدد الحاضرين الـ150 أستاذاً، في حين خيّم على المشهد تقاذف التهم بشأن «خيانة» الأساتذة للقرار السابق للرابطة بالتوقف القسري عن التعليم، وإصرار المسؤولين الأكاديميين على كسر الأستاذ وخنقه بشماعة «مصلحة الطلاب». ووفق نايلة أبي نادر، عضو مستقيل من الهيئة التنفيذية للرابطة، خسر أساتذة الجامعة هيبتهم عندما خضعوا للضغوط وخرجوا من إضرابهم السابق خالي الوفاض ويلا كرامة، سائلة: «من يكون العميد ليتمظهر علينا بالغيرة على طلابنا؟ عميد على مين؟ ومن هم الأساتذة الخائفون؟».

وعلى الرغم من إصرار معظم المشاركين في جلسة الهيئة العامة على مقاطعة كلّ الأعمال الأكاديمية المستمرة في الجامعة هذين الشهرين، و«اللاعودة» الحضورية إلى الصفوف في العام الدراسي المقبل على قاعدة «يا قاتل يا مقتول»، لم يخف البعض قلقه من دخول الإضراب في نفق مظلم، وانطلاق البحث مجدداً، وكما في كل مرة، عن «مخارج» لمقتل «الإضراب المفتوح»، بالنظر إلى أنه ليست هناك جهة رسمية تطالبها بحقوقنا، وانعدام القدرة المالية لدى الدولة.

ثمّة أيضاً من سأل عن أفق التحرك وعمّا إذا كانت هناك خطة عمل محددة للأيام المقبلة، ولا سيما بالنسبة إلى التنسيق مع باقي مكوّنات القطاع العام. مصادر الرابطة قالت لـ«الأخبار» إننا «نتواصل منذ 10 أيام مع روابط الأساتذة والمعلمين وموظفي الإدارة العامة للتحضير لتحرّك مشترك قريباً».

تواصل مع روابط الأساتذة والمعلمين والموظفين تحضيراً لتحرك مشترك

وهنا برزت مداخلة للرئيس السابق للهيئة التنفيذية للرابطة، محمد صميلي، دعا فيها إلى عدم الوقوع في خطأ الدخول في أي صراع فئوي أو قطاعي مع باقي المكوّنات، والانزلاق في الزواريب السياسية «وكنت أتمنى أن لا نلجأ إلى خيار قاتل مثل الإضراب المفتوح». هذا الطرح قابله رأي في صفوف الأساتذة يقول إن «الوضع الحالي لا يحتمل تخطيطاً على المستوى الاستراتيجي، والمطلوب حلول مرحلية سريعة مؤقّتة تؤمّن لنا مقوّمات الحد الأدنى للعيش «ناكل ونشرب ونصوّي من دون الدخول في معارك مع أحد لا القضاة ولا غيرهم».

رئيس الهيئة التنفيذية للرابطة، عامر حلواني، قال إننا «نخوض اليوم معركة الدفاع الأخير عن الجامعة في وجه إرادة السلطة السياسية الجائرة بتصفية القطاع العام»، محمّلاً الأستاذ مسؤولية الالتزام بقرار هيئته النقابية «ولا تطلبوا مني أن أطلب من رئيس أو عميد أو مدير أن يقفل الجامعة، أو أن أعيّن حراساً عليكم». لكن من الحاضرين من خرج ليقول إن «من واجب الرابطة أن تمنحنا الغطاء القانوني وتحمينا من الضغوط التي يمارسها علينا العمداء والمديرون»، وهو ما دعا حلواني للتأكيد أن أحداً لم يجبر أحداً على التعليم وإجراء الامتحانات في المرحلة السابقة، بدليل أن البعض بقي ملتزماً القرار النقابي حتى اللحظة الأخيرة لفكّه. ووجد حلواني نفسه طوال الوقت مضطراً لسرد الاتهامات الموجهة إلى الهيئة التنفيذية وخضوعها للضغوط السياسية، عبر التأكيد «أن ولاءنا كان للجامعة فحسب، ونحن لم نفكّ قرار التوقف القسري الأخير لو لم يخرجه 80% من الأساتذة الذين عادوا إلى التعليم وعزفوا عن الانخراط في عشرات التحركات التي دعونا إليها»، لافتاً إلى أن حجة الإحباط من الواقع النقابي مردودة إلى أصحابها.

إضراب في «الإدارة المركزية»

مقابل الخروق في بعض كليات الجامعة اللبنانية، توقّفت أمس كلّ الأعمال الإدارية في الإدارة المركزية، حيث التزم نحو 50 مدرّباً بقرار الإضراب المفتوح الذي دعت إليه الهيئة التنفيذية لرابطة الأساتذة المتفرّغين ورابطة العاملين في الجامعة.

ودعا رئيس الجامعة، بسام بدران، الدولة إلى تحمّل مسؤولياتها تجاه 80 ألف طالب قبل أن تتحمّل مسؤولياتها تجاه 5200 أستاذ و2700 مدرب، وأن تضاعف الرواتب وأجر ساعة التعاقد بالحد الأدنى وتخصّص بدل نقل مقطوعاً للأساتذة على غرار الجيش، وأن تمنع مجمّعات الجامعة ومباني الكليات مقوّمات الصمود والحياة.

قرار الإضراب والعودة عنه بيد الهيئة العامة للأساتذة (مروان بو حيدر)

العلامة الراحل السيد محمد علي الأمين، مواليد شقراء ١٩٢٠، هو كبير علماء الشيعة في لبنان.

تلقّى تعليمه في مدرسة شقراء الأولى التي كانت آخر الكتاتيب في جبل عامل.

أسّس مدرسة في شقراء أواخر الثلاثينيات، وبدأ دراسته الدينية على يد العلّامة السيد محمد حسن الأمين (والد زوجته)، وسافر إلى النجف الأشرف لمتابعة تحصيله العلمي وعاد برتبة مجتهد، واستقرّ في جبل عامل في بلدته شقراء.

واكب حركة السيد موسى الصدر وكان مقرّباً منه وتسلّم إدارة المعاهد الدينية. وعن هذه المرحلة قال السيد الراحل لـ «الأخبار»: «بسبب معاناة طلّاب العلم في النجف الأشرف، من أبناء جبل عامل، حضر إلى منزلي عام ١٩٦٤ الإمام السيد موسى الصدر وقال لي: علينا أن نفتح معهد للدراسات الإسلامية في مدينة صور، للتخفيف من معاناة الطلّاب، وهذا ما كان، لقد بدأنا بالتدريس في المعهد، وسرعان ما ازداد عدد الطلاب، من بينهم القادمين من أفريقيا والفلبين وسيراليون وغيرها، إضافة إلى الطلاب اللبنانيين، الذين كان من بينهم الشهيد السيد عباس الموسوي، الأمين العام السابق لحزب الله، حيث كنت أقوم بتدريس علوم النحو والمنطق وغيرها». وبيّن الأمين أنّ «المعهد استمر بالتدريس حتى عام ١٩٧٦، عندما قام العدو الإسرائيلي بقصف المنطقة ما اضطر الطلاب الأجانب إلى ترك لبنان بطلب من سفارات بلادهم».

عُيّن مفتياً لقضاء بنت جبيل طيلة نحو ٤٠ عاماً.

عضو الهيئة الشرعية في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى حتى وفاته.

عُرف بذكائه الحاد وتوسّعه وتعمّقه في علوم القرآن والفقه والنحو والصرف والأدب.

بقي السيد الراحل صامداً في جبل عامل في بلدته شقراء حيث عاصر كل الحروب الصهيونية على لبنان.

كان مكافحاً ومدافعاً عن المقاومة وخطّها ووثّق هذا الموقف في مئات الخطب التي ألقاها خلال تأبينه للشهداء، الذين صلّى على المئات منهم. وشوهد يبكي عليهم. خصوصاً في فترة الحرب ضد سوريا التي كان يعدّ الشهداء فيها «طليعة الدفاع عن الدين والأمة»، داعياً في خطاباته إلى «الجهاد ودعم المقاومين الشرفاء لمواجهة التكفيريين، وحماية للمقدّسات وحرم السيدة زينب».

طلب في أيامه الأخيرة مقابلة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، فكان له ذلك، واستمرّ لقاؤهما لساعات طويلة.

شُيّع الجثمان الطاهر للسيّد الفقيد وورِي الثرى في بلدته شقراء يوم أمس الجمعة في جنّازة الشجرة. إنّا لله وإنّا إليه راجعون لمولانا الكبير الرحمة وعلوّ الدرجات ولكم عظيم الأجر والثواب.

تقبل التعازي في منزل الفقيد، ومناسبة مرور ثلاثة أيام يقام مجلس عزاء عن روح الفقيد، يوم الأحد القادم.

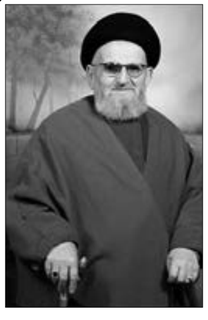

الحدث

عباس مُعاتباً: ماهكذا يُفعَل بنا

بايدن لا يملك «هدايا»... المفاوضات آخر همّنا!

لم تحمل زيارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، إلى بيت لحم، ما كان يتمنّاه رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، من إعادة تحريك لمسار المفاوضات مع دولة الاحتلال، إذ بدا واضحاً أن أشغالاً بايدن في مكان آخر مغاير تماماً لما يفكّر فيه «أبو مازن». الأمر الذي يستدعي وضع هذا المسار وكلّ متعلّقاته، وعلى رأسها «حلّ الدولتين»، على الرفّ. وإذ حاول الرئيس الأميركي التعويض عن ذلك بطمأنة عباس إلى مواصلة جهود دعم السلطة، فقد ظهر حرد الأخير جليّاً، خصوصاً في «استغرابه التعامل معه بهذه الطريقة». وفق ما نقلت مصادر لـ«الأخبار»

غزة ـ رجب المدهون

> كما كان متوقّعاً، لم تتمخّض زيارة الرئيس الأميركي، جون بايدن، إلى الأراضي المحتلّة، إلّا عن دعم

> **أعلن بايدن توفير تمويل بـ200 مليون دولار إضافية لـ«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين»**

مالي للمستشفيات ولـ«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (أونروا)، من دون أيّ خطوة سياسية متّصلة بالقضية الفلسطينية؛ إذ على رغم تجديد بايدن، خلال لقائه الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، اقتناعه بـ«حلّ الدولتين»، إلّا أنه تحدّث عن عدم توفّر الظروف المناسبة له حالياً، طارحاً جملة مطالب أمنية متّصلة بدور السلطة الأمني في الضفة الغربية. ووصل الرئيس الأميركي، صباح أمس، إلى مدينة بيت لحم، محطّته الثانية في زيارته للمنطقة، حيث التقى عباس وعدداً من المسؤولين الفلسطينيين في قصر الرئاسة، وعقد اجتماعاً منفرداً مع «أبو مازن» لمدّة ساعة. وبحسب ما علمته «الأخبار»، من مصادر في السلطة، فإن عباس اعرب لبايدن عن استغرابه من «التعامل بهذه الطريقة معه، إذ لم يفِ الرئيس الأميركي بتعهّداته لبناء الثقة مع الفلسطينيين، وخاصة عبر إعادة فتح القنصلية الأميركية في القدس الشرقية، ورفع منظّمة التحرير من قائمة الإرهاب الأميركية». وأضافت المصادر أن «بايدن أكد لعباس، في المقابل، أنه يواصل جهوده لدعم السلطة خلال الفترتين الحالية والمقبلة، وأن هذا الأمر يخضع للحوار المتواصل بين واشنطن ورام الله».

وفي السياق نفسه، جدّد عباس القول، عقب لقائه بايدن، إن «تحقيق هدف السلام يكون بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين على حدود 67 وعاصمتها القدس الشرقية»، محذّراً من أن «حلّ الدولتين على هذا الأساس قد يكون متاحاً اليوم فقط، ولا ندري ما قد يحصل في المستقبل»، داعياً إلى وقف «التمييز العنصري والاستيطان وعنف المستوطنين ضدّ الفلسطينيين». وكرّر مطالبته بـ«إعادة فتح القنصلية الأميركية في القدس الشرقية، ورفع منظمة التحرير من قائمة الإرهاب»، مشدّداً على ضرورة محاسبة قتلة الشهيدة شيرين أبو عاقلة، الأمر الذي عقّب عليه الرئيس الأميركي بالقول إن «شيرين أبو عاقلة، وهي فلسطينية ومواطنة أميركية، قُتلت بينما كانت تقوم بدورها في إعلام مستقلّ، والولايات المتحدة ستقوم بدورها من أجل دعم تحقيق مستقلّ في مقتلها». وفي الوقت الذي أعاد فيه بايدن تأكيد التزامه بـ«حلّ الدولتين الذي يشمل قيام دولة فلسطينية مستقلّة ذات سيادة ومتّصلة جغرافياً»، إلّا أنه استدرك بأن «هذا الهدف قد يبدو بعيد المنال بسبب القيود التي تُفرض على الفلسطينيين». وبينما جدّد عباس «مدّ يده إلى إسرائيل لتحقيق سلام الشجعان واستكمال ما تمّ التوصّل إليه في اتفاقية أوسلو»، دعا بايدن إلى «عدم جعل اليأس والقنوط يصوغ المستقبل، حتى وإن لم تكن الأرضية جاهزة لبثّ الروح في المفاوضات»، مؤكداً «(أننا) نحاول إعادة الزخم إلى مسار السلام ووضع حدّ للعنف». وفي ما يتعلّق بمدينة القدس المحتلة، أشار «أبو مازن» إلى «مركزيتها في الرؤيتين الفلسطينية والإسرائيلية لتكون مدينة لكلّ من يعيش فيها، مع أهمية الوصاية الأردنية عليها».

من جهة أخرى، أعلن بايدن توفير تمويل بـ200 مليون دولار إضافية لـ«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (أونروا) لـ«مواصلة دورها الحاسم». وكان الرئيس الأميركي زار، قُبيل توجّهه إلى بيت لحم، مستشفى «المطلع» الفلسطيني في مدينة القدس المحتلة من دون مرافقة مسؤولين من حكومة الاحتلال الإسرائيلي، حيث جال على أقسامه المستشفى، وأعلن تقديم معونة للمستشفيات الفلسطينية بقيمة 100 مليون دولار. وفي الإطار نفسه، كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية أن إدارة «المطلع» طلبت من المرضى وأعضاء الطواقم الطبّية الذين لديهم «خلفية أمنية» عدم الحضور إلى المستشفى يوم الجمعة. ومصطلح «خلفية أمنية» تستخدمه وسائل الإعلام العبرية عادة، للدلالة على الفلسطينيين الذين يشاركون في أعمال مقاومة للاحتلال. وبحسب الصحيفة نفسها، فإن عدداً كبيراً من الممرّضين منحتهم الإدارة إجازة لمدّة يوم كامل، خصوصاً أولئك الذين اعتقلهم الاحتلال سابقاً أو لديهم أقارب قيد الاعتقال أو جرى اعتقالهم في أوقات سابقة. ووفقاً لممرّض يعمل في المستشفى، فإن أفراد الأمن الأميركيين سألوا عن الموظفين الذين لديهم أو لدى معارفهم أو أقاربهم «سجل أمني»، وطلبوا عدم تواجدهم أثناء زيارة بايدن.

أعرب عباس لبايدن عن استغرابه من «التعامل بهذه الطريقة معه» (أ ف ب)

«إعلان القدس» يثمر عكسياً: المقاومة أكثر ارتباطاً بـ«محورها»

يوسف فارس

استبق الرئيس الأميركي، جو بايدن، لقاءه الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، بتأكيده مواصلة نهج أسلافه في تقديم الدعم المطلق لإسرائيل، قاطعاً بما سُمّي «إعلان القدس»، وتشديده على «صهيونيّته وإن لم يكن يهودياً»، الطريق على أيّ مواقف لينة كان يمكن أن تُصدرها الفصائل الفلسطينية التي أبقت في حساباتها

> **على مدار يومين، شهدت مدن الضفة الغربية المحتلّة وقطاع غزة تظاهرات منددة بزيارة بايدن**

إمكانية إحياء المسار التفاوضي و«حلّ الدولتين». وعلى مدار يومين، شهدت مدن الضفة الغربية المحتلّة وقطاع غزة تظاهرات منددة بزيارة بايدن، فيما نظّمت فصائل المقاومة، أوّل من أمس، وقفة احتجاجية دانت فيها «إعلان القدس» والانحياز الأميركي المطلق إلى دولة الاحتلال، بالتزامن مع تظاهرة أخرى جابت مدينة رام الله بدعوة من «التحالف الشعبي للتغيير»، وشارك فيها قادة سياسيون وممثّلو الفصائل، معلنين رفضهم سياسة «السلام الاقتصادي» الذي يأتي على حساب الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني، مقابل تحسين في الخدمات وصرف بعض المبالغ المالية. كما شارك العشرات في وقفة مماثلة نظّمتها «اللجنة التنسيقية الفصائلي» في مدينة نابلس (شمال)، وطالبوا بمقاطعة بايدن وعدم استقباله من قِبَل القيادة الفلسطينية. وفي صباح الجمعة، تظاهر المئات من الفلسطينيين أمام مستشفى المطلع في القدس، ورفعوا لافتات سوداء ذكّرت بايدن بأن حياة الفلسطينيين مهمّة، وأخرى طالبت بتحقيق العدالة للشهيدة شيرين أبو عاقلة.

وعلى مستوى المواقف السياسية، اعتبر الأمين العام لـ«حركة الجهاد الإسلامي»، زياد النخالة، أن «نتائج زيارة بايدن للمنطقة معلومة سلفاً للشعب الفلسطيني، فهي تسعى لتأمين مصالح الولايات المتحدة وأمن وشدّد النخالة، في تصريح صحافي، على أن «علينا كشعب فلسطيني وكمقاومة استخلاص العبر والتوقّف عن بناء الأحلام على هكذا حراك سياسي (...) طالما أننا لا نخلق مشكلة جدّية للعدو، فلا قيمة لكلّ التحليلات السياسية ولكلّ البيانات». ورأى القيادي في «الجهاد»، محمد الهندي، بدوره، أن «ذكر المقاومة في فلسطين ولبنان في ما يُسمّى إعلان القدس، يؤكد في أحد جوانبه فاعلية وتأثير وحضور فصائل المقاومة التي بات لا يمكن تجاوزها في أيّ ترتيبات إقليمية»، مؤكداً أن «بايدن على خطى ترامب في ما يتعلّق بتوسيع دائرة التطبيع وتسييد الاحتلال في المنطقة والقفز عن القضية الفلسطينية». وفي الإطار نفسه، أشارت حركة «حماس»، في تصريح صحافي، إلى أن «إعلان القدس بَيّن نهج واشنطن في الانحياز إلى دولة الاحتلال، ودعم عدوانها ضدّ شعبنا الفلسطيني وأرضه ومقدّساته الإسلامية والمسيحية»، مضيفة أنه «يأتي استمراراً لمحاولة الإدارة الأميركية المشبوهة تصفية القضية الفلسطينية عبر دمج هذا الكيان الغريب في جسم أمّتنا العربية والإسلامية، وذلك تعبيراً عن فشل هذا الاحتلال في مواجهة حالة الرفض والنضال المستمرّ من شعبنا وقواه الحيّة، دفاعاً عن ثوابته الوطنية وحقّه في الحرية وتقرير المصير».

وبعيداً عن الدلالات السياسية، تقرأ مصادر في المقاومة الفلسطينية الزيارة من ناحية عملية لوجستية، قائلة في حديث إلى «الأخبار»، إن «القادة العسكريين الإسرائيليين ردّدوا أكثر من مرّة في أوقات سبقت الزيارة الأميركية، مفهوماً جديداً هو «الوزن»، ووضعوه أساساً للتعامل بين الولايات المتحدة ودولة الاحتلال، وكذلك بين الأخيرة وحلفائها العرب»، مضيفة أن «إسرائيل أضحت تلوّح باهمية ما تسمّيه "قيمتها العسكرية القابلة للتفعيل" أو "الذخر الاستراتيجي" في وجه التهديدات التي تواجه الحلفاء»، متابعة أن «إسرائيل أضافت الوزن إلى مفاهيم استراتيجية الجيش الإسرائيلي الأمنية الأربعة، وهي الردع والإنذار والدفاع والحسم (...) تريد إسرائيل الترويج لمفهوم "الوزن" لإقناع الولايات المتحدة الأميركية والمحيط العربي بأنها تقوم بدور مهمّ في خدمة مصالحها، ولذا فهي تستحقّ عليه مزيداً من الدعم والشراكات في تطوير بعض أسلحتها غير الناضجة».

وفي الاتجاه نفسه، يرى الباحث السياسي، محمود أبو سالم، أن «أبرز انعكاسات الزيارة الأميركية، بعيداً عن التأثيرات السياسية، هو ما ستحصّله المؤسسة الأمنية الإسرائيلية من دعم لبعض أسلحتها التي لم تنضج بعد على نحو عملي»، معتبراً في حديثه إلى «الأخبار» أن «استعراض منظومات مثل القبة الحديدية ونظام الليزر ومقلاع داوود في مراسم استقبال بايدن، يؤكد أن استكمال تطوير تلك الأسلحة من خلال الشراكة في دعم مشاريعها، هو واحدة من أولويات الزيارة من وُجهة نظر إسرائيل». ويضيف أبو سالم أن بايدن، و«إن خذّل طموحات الإسرائيليين في استخدام القوّة لمعالجة الملفّ الإيراني، إلّا أن تاريخه في لقاء رؤساء وزراء إسرائيل، بدءاً بغولدا مئير، وبعدها إسحاق رابين ومناحيم بيغن وإسحاق شامير وشمعون بيريس وبنيامين نتنياهو وإيهود براك وأريئيل شارون وإيهود أولمرت ونفتالي بينيت، ولقاءه الحادي عشر مع رئيس الوزراء الجديد، يئير لبيد، يؤكد أنه ليس هناك سياسي أميركي أكثر اطّلاعاً وفهماً لإسرائيل منه، وعليه فإنه سيقدّم لإسرائيل ما تطمح إلى تحصيله سواءً وُقّع الاتفاق النووي أو لم يُوقّع، وهو مزيد من التسليح والدعم المالي».

من جهته، يعتقد المحلّل السياسي المقرّب من حركة «حماس»، فايز أبو شمالة، أن زيارة بايدن التي وضعت «استهداف قوى المقاومة على رأس سلّم أولوياتها»، ستدفع الفصائل إلى «تعميق حالة التشبيك والتحالف مع قوى المقاومة في المنطقة، ولا سيما حزب الله وإيران». ويشدّد أبو شمالة، في مقالٍ له، على أن «الردّ على الحلف الأميركي الإسرائيلي العدواني لا يكون من خلال بيانات الشجب والإدانة، الردّ يكون بتعزيز التحالف الإيراني الإسلامي في المنطقة، فطالما كان المستهدَف من إعلان القدس هو نهضة الأمة الإسلامية، فالردّ يكون بالتحالف مع كلّ القوى الرافضة للهزيمة والتبعية، وعلى رأس هذه الدول إيران، ويكفي الاستشهاد في هذا المقام بما قاله رئيس وزراء (إسرائيل) السابق، الذي اشترط تصفية أذرع المقاومة في غزة ولبنان بقطع رأس الأخطبوط في طهران». وفي السياق نفسه، توقّع مصدر مقرّب من قيادة حركة «حماس»، أن تُسهم الزيارة الأميركية في تسريع إعادة العلاقات بين الحركة ودمشق.

زيارة بايدن ستدفع الفصائل إلى «تعميق حالة التشبيك مع قوى المقاومة في المنطقة» (أ ف ب)

تقرير

تمرين على «القانون الإنساني»: سوريا تُهذّب عسكريّيها

بلال سليطين

بعد أشهر قليلة من إصدار الرئاسة السورية قانون تجريم التعذيب في البلاد، صار «القانون الدولي الإنساني» واحداً من أكثر المصطلحات تداولاً بين المسؤولين السوريين، وفي وسائل الإعلام الحكومية، في ما عكس اهتماماً لافتاً، تُرجم أيضاً بمشروع «توعية» يشرف عليه نائب وزير الخارجية، بشار الجعفري، القادم من تمثيل سوريا في الأمم المتحدة، حيث بنى علاقة طويلة مع المنظّمات الدولية، وكذلك معرفة تراكمية بالاتفاقيات الدولية التي خبرها وشارك في التوقيع على بعضها نيابةً عن بلاده، التي يبدو أنها تخوض حالياً تمريناً على مواءمة قوانينها المحلّية والقائمين على إنفاذ هذه القوانين، مع حقوق الإنسان. وتستبطن رئاسة الجعفري لـ«اللجنة الوطنية السورية للقانون الدولي الإنساني»، رسالة إلى الخارج بأن ثمّة تغييراً ما يحدث في سوريا، في ظلّ ما تُتّهم به الأخيرة من انتهاكات منتظمة للقانون الدولي الإنساني خلال سنوات الحرب التي اندلعت عام 2011.

وإذ تنفي دمشق هذه الاتّهامات، مُتحدّثة، كما يجيء في رسالتها الأخيرة إلى مجلس حقوق الإنسان بنسخته لعام 2022، عن «وجود 9 آليات للأمم المتحدة تعمل على مدار الساعة على التشهير بالحكومة السورية»، فإن سوريا تشهد، بالفعل، هذه الأيام، سلسلة ورش في سبيل «بناء القدرات وتعزيز المعارف في مجال القانون الدولي الإنساني ومواكبة التطوّرات في إطار التزام سوريا به»، وفق التقديم الحكومي لتلك الورش. ويشمل هذا التمرين وزارة العدل التي دُرّبت عشرات القضاة على تنفيذ القانون تحت إشراف «اللجنة الدولية للصليب الأحمر»، وكذلك فعلت وزارة الداخلية السورية المعنيّة بإنفاذ القانون، فيما تبدو لافتة مشاركة وزارة الدفاع السورية في التدريبات. وبحسب مصادر في وزارة الخارجية السورية تحدّثت إلى «الأخبار»، «يتمّ العمل على إعداد دليل خاص بالقوات المسلّحة السورية حول القانون الدولي الإنساني، من شأنه أن يزيد المعرفة لدى العسكريين على مختلف مستوياتهم بهذا الموضوع، والتأكّد من تطبيقه خلال العمليات العسكرية حالياً أو مستقبلاً بما يضمن الحفاظ على حقوق الإنسان خلال الحرب والمعارك».

وفي قراءتها لتلك الخطوة، تفضّل أوساط المجتمع المدني وبعض الحقوقيين السوريين الذين تحدّثت معهم «الأخبار»، الانتظار لرؤية ماذا سيحدث بعد هذه الورش. ويقول حقوقي سوري يعمل في دمشق، فضّل عدم ذكر اسمه، إنه «من حيث الشكل، تبدو تلك الأنشطة خطوة إيجابية في سبيل الوصول إلى أفضل معرفة وتطبيق للقوانين الإنسانية خلال الحرب، لكن لتقييم التجربة فإننا بحاجة إلى أن ننتظر ونرى كيف سيكون التطبيق لاحقاً».

يتمّ العمل على إعداد دليل خاص بالقوات المسلّحة السورية حول القانون الدولي الإنساني (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4076

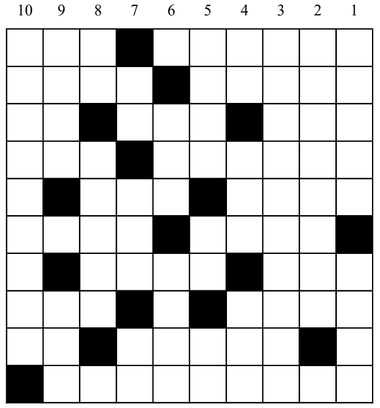

أفقيا

1- النهر المقدّس في الهند – من كان صغير الجثة – 2- وكالة انباء – مصباح زيت – 3- إمتحن غور البحر – غنيّ بالمال – سئم وضجر – 4- آلات يديرها الهواء تُستخدم في طحن الحبوب – مدينة مغربية – 5- غرور مبعثرة – ولد الحصان – 6- من أحياء مدينة دمشق العريقة – قصر – 7- أمر رديء غير مُحكم – عائلة رئيس مصري راحل – 8- مخيف ووقور – عاتب – 9- خلاف العسر – حرف نصب – 10- لقب قيس بن الملوّح العامري

عمودياً

1- فيلسوف يوناني – من الطيور – 2- مطار فرنسي – 3- عائلة رسّام لبناني راحل – 4- قادم – خلاف سلم – أزرق بالأجنبية – 5- نبكي الميت ونعدّد محاسنه – ثرى – عملة آسيوية – 6- غنّى على نغمات العود – كاتب – 7- نوتة موسيقية – تكلم بصوت خفيّ – سقي – 8- برّد – أعظم شعراء روما القديمة – 9- معركة شهيرة إنهزم فيها هنيبعل القرطاجي ضد الجحافل الرومانية – حرف جر – 10- من أهمّ أجهزة الأمم المتحدة

sudoku 4076

1	3			6			8	4
2			8					
			7	2		3		6
	1	6			8			
5		9		1			3	8
			6		3		5	
		5				7		
4					2		6	5
7		3		4				2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكلّ مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4075

7	8	9	5	3	2	4	6	1
5	1	6	4	7	8	3	9	2
4	2	3	1	9	6	8	5	7
9	4	1	7	6	3	5	2	8
2	3	8	9	1	5	6	7	4
6	7	5	2	8	4	1	3	9
3	9	2	8	5	1	7	4	6
8	6	7	3	4	9	2	1	5
1	5	4	6	2	7	9	8	3

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- البرفير – شك – 2- روسيا – يافا – 3- لا – غزل – شين – 4- نرفا – وا – لو – 5- انافليد – 6- تبر – ينمو – 7- وطني – ديانا – 8- الكاز – حنّ – 9- بي – اربد – 10- كلود ديبوسي

عمودياً

1- ارلنغتون – 2- لوار – بط – خل – 3- بس – فارنا – 4- ريغان – يلبد – 5- فاز – في – كبد – 6- لواندا – 7- ري – الميزاب – 8- اش – ي و ا – رو – 9- شفيلد – نحيس – 10- كانو – غاندي

مشاهير 4076

مغنية مصرية شابة تخرجت من معهد الموسيقى عام 2004 وجذبت إنتباه عدد كبير من المنتجين والمؤلفين والملحنين واحتلت المراكز الأولى بأغنية خاصة

2+6+5+3+4 = مدينة في صقلية ■ 1+10+8+7 = يزخرف ويحسّن ■ 9+11 = للنداء

حل الشبكة الماضية: مارتن ديمبسي

إعداد
نعوم مسعود

◄ مطلوب ►

مطلوب للعمل محاسبة في شركة - المكلس العمر بين 23 و30 سنة. الرجاء إرسال CV على info@cafesuperbrasil.com

Needed business grad. empl. with exp. in accounting. Poss. of travel. CV to: jafco.nadia@gmail.com

سياسة ألبرت حوراني ودراسات الشرق الأوسط

* أسعد أبو خليل

لا تزال دراسات الغرب عن الشرق الأوسط تعيش تحت وهج، أو تحت سوْط، كتاب «الاستشراق» لإدوار سعيد. كل المستشرقين، بمن فيهم صديق العرب والمسلمين، ماكسيم رودنسون، أبدوا استغراباً أو امتعاضاً من شعبيّة الكتاب ورواجه، في الولايات المتحدة أوّلاً ثم في العالم أجمع بعد ذلك. والحديث عن كتاب «الاستشراق» أكثر راهنيّة اليوم من قبل. ما وصفه سعيد بـ«المعرفة السياسيّة» عن الشرق الأوسط (خلافاً للمعرفة المحض، إذا كان من معرفة محض مثل معرفة نمط التوالد عند الفراشات) هو الطاغي والدوافع السياسيّة للمعرفة ازدادت بعد تكثيف الضلوع والحروب الأميركيّة في الشرق الأوسط (كما أن التمايز السياسي بين كندا والولايات المتحدة وأوروبا أضحلّ في السنوات الأخيرة وهذا ينعكس على عمل الجامعات في تلك البلدان—الجامعات في كندا كانت أكثر حريّة في استضافة آراء متنوّعة عن الشرق الأوسط فيما أصبحت أكثر تزمّتاً من جامعات أميركا. رفضت جامعة تورونتي دعوة وصلتني من مجموعة طالبية فيها لإلقاء محاضرة بعد أن كانت قد استضافتني قبل أكثر من عشرين سنة). منذ أواخر السبعينيّات حتى اليوم يتبيّن مدى حجم التدخّل الأميركي في بلادنا وتأثير هذا التدخّل على دراسة الغرب (والعرب) للشرق الأوسط. إن هذا الكمّ الكثيف من الدراسات الغربيّة عن الإسلام والحركات الإسلاميّة، مثلاً، كان بدوافع سياسيّة. ومهما كان المرء مستقلاً في تفكيره ودراساته فإن عقد المؤتمرات في بلادنا وتأثير هذا التدخّل على دراسة الغرب (والعرب) للشرق الأوسط. إن هذا الكمّ الكثيف من الدراسات الغربيّة عن الإسلام والحركات الإسلاميّة، مثلاً، كان بدوافع سياسيّة. ومهما كان المرء مستقلاً في تفكيره ودراساته فإن عقد المؤتمرات في بلادنا وتأثير هذا التدخّل على دراسة الغرب (والعرب) للشرق الأوسط. إن هذا الكمّ الكثيف من الدراسات الغربيّة عن الإسلام والحركات الإسلاميّة، مثلاً، كان بدوافع سياسيّة. ومهما كان المرء مستقلاً في تفكيره ودراساته فإن عقد المؤتمرات في بلادنا وتأثير هذا التدخّل على دراسة

(أياد القاضي)

> تأثير حوراني على تاريخ الشرق الأوسط كان كبيراً جداً. هو درَّبَ عدداً كبيراً من الدارسين من مختلف أنحاء العالم
>
> إدوار سعيد، للإنصاف، حذّر من سوء استعمال أو قراءة كتابه لكنه لم يكن مسؤولاً عن ذلك

(بطالبون بوطنهم لكنهم ليسوا بيضاً والملوّنون متطرّفون لو طالبوا بالسيادة على كل أرض وطنهم التاريخي) وهو وصل إلى قناعة أن التقسيم (أي تقسيم فلسطين التاريخيّة) هو «الحلّ الوحيد». لم يكن يقبل بدولة عربيّة على كل أرض فلسطين (ص.27). وهناك مقالة شيّقة عن «المكتب العربي» لوليد خالدي (وهو عمل في المكتب) ويتحدّث فيها عن لقائه بالبرت حوراني، في «مجلّة الدراسات الفلسطينيّة»، بالإنكليزيّة (خريف 2005). ويحاول حوراني أن يشرح لنا سبب عدم تطرّقه إلى السياسة في الشرق الأوسط في كتاباته بعد تلك الفترة التي كتب فيها تقارير للحكومة البريطانيّة في الأربعينيّات، ليقول: «فرنسا انسحبت وسوريا أصبحت مستقلة. وبريطانيا لم تكن متورّطة». أمّا عن القضيّة الفلسطينيّة فلم يجد ما يمكن عمله وأن القضيّة «لم تعد في الأجندة». ويقول إن القضيّة لم تعد تشدّه أكاديميّاً بالرغم من تعاطفه المزعوم. وأدهشني ما قاله حوراني عن شارل مالك إذ قال إنّه كان له «سجلّ مهني مميز جداً»—هذا عن رجل لم يكن على مشارف الفاشيّة بل كان في صلبها—في لبنان وفي أميركا، وكان عرّاب المشروع الفاشي لبشير الجميّل. ويقول عنه: «لقد تعلّمتُ من شارل مالك أكثر مما تعلّمت من كل أساتذتي في الفلسفة في أوكسفورد... إن عقلي تكوّن بتأثير شارل مالك أكثر من أي شخص آخر».

وعن كتاب «الاستشراق» يأسف حوراني لأن سعيد أعطاه هذا العنوان. ويقول إن كلمة «استشراق» أصبحت كلمة قذرة، كان هذا كان غرض سعيد. وسعيد، للإنصاف، حذّر من سوء استعمال أو قراءة كتابه لكنه لم يكن مسؤولاً عن ذلك. يرى حوراني أن الاستشراق هو من أفضل الحقول الدراسية في القرن التاسع عشر. ويحاول حوراني أن يقول إن التعميم والاختزال في الحديث عن شعوب أخرى لا يحملان بالضرورة الاستعلاء العنصري من الغربيّين نحو الشرقيّين ويقول إن ذلك يسري على حديث البريطانيّين عن الفرنسيّين. طبعاً ذلك موضوع آخر لأن إرث الحديث العنصري من قبل الغربيّين عن الشرقيّين لا يمكن مقارنته بحديث الغربيّين، بعضهم عن بعض. وهذه الحجّة لحوراني تظهر كم أنه كان متجاهلاً للعنصريّة الغربيّة ضد العرب والمسلمين. وبدلاً من دحض مقولات وأمثلة سعيد، يردّ حوراني بأحاديث شخصانيّة فيعطي مثال المستشرق إجناتس غولدزيهر (المجري الأصل) ليقول إنه عرف المسلمين كبشر (وكيف عرف ذلك؟) وإنه توصّل (حسب يوميّاته) إلى أن الإسلام هو أقرب إلى الحقيقة من اليهوديّة (وهو كان يهوديّاً). وينتقد حوراني فكرة عند بعض المسلمين (برأيه، طبعاً) حول أنه لا يمكن أن يفهم المسلمين إلا هم، لكن هذه لم تكن أبداً فكرة إدوار سعيد. وتحاول غالجر أن تدفع حوراني للاعتراف بعلاقة التاريخ بالقوة والسلطة فيردّ حوراني بالقول إن أقسام الدراسات في الجامعة الغربيّة مستقلّة. كيف تكون مستقلّة وهي تعتمد في التمويل إمّا على الحكومات أو المؤسسات أو شركات النفط أو أثرياء بأجندات سياسيّة؟ عندما ينفق أثرياء صهاينة هنا مثلاً على إنشاء كراسيّ أكاديميّة لدعوة أستاذ زائر من إسرائيل سنويّاً: كيف يكون ذلك غير مرتبط بالسياسة؟ عندما يكون هناك أستاذ متخصّص بشؤون أقليّة صغيرة (يهوديّة) في منطقة فيها ملايين العرب والمسلمين يكون هناك ترجيح معرفي وحتى عنصري لفئة على حساب أخرى.

تأثير حوراني على تاريخ الشرق الأوسط كان كبيراً جداً. هو درَّبَ عدداً كبيراً من الدارسين من مختلف أنحاء العالم (طبعاً، الأكثريّة كانت بحكم التركيبة الطبقيّة لطلاب أوكسفورد، من خلفيّة نخبويّة). أشهد أن حوراني كان شديد الاهتمام بتلاميذه ودراساتهم وهو كان يهتم بحقول الأبحاث الجديدة من طلاب دراسات الشرق الأوسط. وكان يستمع إلى الطلاب ويُسدي بالنصح لهم. لكن كما أن «الجزيرة» كرّست تقليد استضافة ضيوف إسرائيليّين في الإعلام العربي بحجّة المهنيّة (المزيّفة) فإن حوراني طبّع التعامل (العربي-الغربي) مع أكاديميّين إسرائيليّين وصهاينة. حوراني عمل في أكثر من مؤتمر وحلقة مع برنارد لويس ولم يكن ناقداً له بالرغم مما نعرف اليوم عن توجّهات ودوافع استشراق لويس. وقلق حوراني من تأثير كتاب إدوار سعيد «الاستشراق» فاق قلقه من تأثير الاستشراق نفسه على المعرفة الغربيّة وتأثيرها على حروب وسياسات الغرب في العالم العربي. إن مصاحبة استشراق جديد وعريق (أي نسق فؤاد عجمي ونسق برنارد لويس معاً) لحروب أميركا في أفغانستان والعراق وليبيا تعطي شهادة تأكيد لأطروحات سعيد. على العكس، إن سعيد لو كان حيّاً سيكون مندهشاً ربّما لتأثير كتاب «العقل العربي» على أذهان قادة الجيش الأميركي في العراق، كما فضح ذلك سيمور هرش ووصف الكتاب بأنه «إنجيل المحافظين الجدد».

وقد كتب البرت حوراني مراجعة تفصيليّة لـ«الاستشراق» في «نيويورك ريفيو أوف بوكس» في آذار 1979. وهناك يجهد حوراني في محاجيّة سعيد في أمور قد تبدو بديهيّة اليوم للكثير من دارسي ودارسات الشرق الأوسط. هو يرفض—ربما بحكم الدفاع عن المهنة والحقل—التعميم عن الاستشراق وتراه يرفض مقولة سعيد أن «المستشرقين غير مهتمّين وغير قادرين على مناقشة الأفراد (الشرقيّين)». وسعيد على حق لأن حقل الاستشراق يعتمد على التعميم عن ملايين من البشر بحكم سكنهم في بقعة من العالم وانتمائهم إلى عرق أو دين. أي أن التعميم عن المستشرقين أزعج حوراني أكثر من التعميم عن الشرقيّين («العرب والمسلمين). ويرفض حوراني مقولة أن المستشرق يتميّز بـ«انعدام التعاطف مستتراً بالمعرفة الحرفيّة». يقول حوراني إن سعيد بنى «النموذج المثالي للمستشرق». يفضّل حوراني الاعتراف بأنواع مختلفة من الاستشراق لتبرئة الحقل العلمي نفسه.

ويدافع حوراني، طبعاً، عن المستشرق هاملتون غيب، الذي أسّس مركز الدراسات الشرق الأوسطيّة في جامعة هارفرد. ولا يمكن التقليل من تأثير غيب على حقل الدراسات هذا. ولغيب كتاب اعتُمد لعقود عن الأدب العربي. وقد درستُ في فصل دراسي الأوراق الخاصّة لهاميلتون غيب في هارفرد في أوائل التسعينيّات. والذي لفتني أن الرجل الذي يُظن عنه أنه نأى بنفسه عن السياسات كان يراسل مسؤولين بريطانيّين في شؤون سياسة بريطانيا نحو الشرق الأوسط. وسألَ الأستاذ محسن مهدي، الذي خلف غيب في إدارة مركز الدراسات الشرق أوسطيّة في هارفرد، وقال لي عنه إنه استغرب عندما تعرّف إليه أنه عاجز عن المحادثة باللغة العربيّة خصوصاً أنه كان عضواً في مجمع اللغة العربيّة في القاهرة. لم يكن مهدي معجباً به. يعترف حوراني أن غيب كتب أن «العقل العربي» عاجز عن التفكير العقلاني لكن حوراني يريد منا أن نفصل فكر المستشرق العنصري عن نتاجاته الأكاديميّة. أي أن حوراني يحاجج أن العنصري يستطيع أن يدرس بتجرّد وحياديّة شعوباً يحتقرها.

ويرفض حوراني فكرة أن المستشرقين بصورة عامّة تعاطفوا مع الإسلام على أنه شيء نقيض لشيء آخر أو عرضة للمقارنة بأديان أخرى لسبر غوره. لكن أمثلة حوراني ليست ممثّلة للعيّنة (إن في حالة ماسونيّون عن الحلّاج أو في حالة لاوست عن ابن تيميّة—لا يذكر حوراني حالة غولدزهر لأن يوميّاته لم تكن قد نُشرت بعد). وسعيد لا يعمّم عن كل المستشرقين (وهو ينوّه بإسهامات ماسينيون بصورة خاصّة) إذا كان غرض حوراني التحذير من مغبّة التعميم. سعيد نفسه، كما يستشهد حوراني به وإن عرضاً، يقدّر «أعمال علماء مخلصين عديدين». يوافق حوراني سعيد على أن العرب والإيرانيّين لا يزالون يعملون في بنية أفكار خلقها علماء غربيّون مع استثناءَين وحيدَين بنظر حوراني (خليل انالتشك في حالة التاريخ العثماني وعبدالله العروي عن تاريخ المغرب). ويعترف أن العرب والإيرانيّين غائبون عن الثقافة الغربيّة لكن حوراني لا يفسّر لنا سبب ذلك وإن أوحى أن السبب في غير سياق نقد سعيد.

وقد يستغرب البعض أن تأثير شقيق البرت حوراني، سيسيل، يفوق التأثير السياسي لألبرت. سيسيل لم يمتهن الأكاديميا ولم يكمل دراساته العليا. سيسيل، مثل شقيقه، عمل في «المكتب العربي» مع موسى العلمي وهو كان وثيق الصلة بديفيد بن غوريون. أي أن عضوَين في المكتب الذي كان منكباً على صنع دعاية سياسيّة مضادة للدعاية السياسيّة للحركة الصهيونيّة كانا صديقيْن لديفيد بن غوريون. تخيّل، مثلاً، أن يكون المسؤول الإعلامي لـ«المنار» صديقاً حميماً لنتنياهو أو لبيبد. ومثل شقيقه أيضاً، كان سيسيل حورانيّ واقعاً تحت تأثير شارل مالك. سيسيل عمل مستشاراً خاصاً للحبيب بورقيبة في المرحلة التي كان فيها الأخير يروّج لتقسيم فلسطين، ما جعله منبوذاً بنظر الرأي العام العربي في الستينيّات. وبعد حرب 1967، أفسح غسان تويني صفحات كاملة من «النهار» لنشر الفكر الاستسلامي لسيسيل حوراني في التعاطي مع إسرائيل. (لا يزال سيسيل يعيش بينكم، معمّراً بعد المئة، في مرجعيون). حوراني كان شديد الانتقاد لسليم الحصّ في لبنان لأن الحصّ كان معارضاً لسعد حدّاد وجيش المتعاملين مع إسرائيل. وعندما بدأت إدارة ريغان بالتواصل المباشر مع بشير الجميّل (عندما أرسل ريغان شخصياً رسالة إلى قائد القوّات اللبنانيّة-الإسرائيليّة) اجتمع مستشارو الجميّل برئاسة شارل مالك لتدبيج ردّ مفصّل على رسالة ريغان. لكن مالك عجز عن تدبيج الرسالة وعندها أرسل وراء سيسيل حوراني الذي أصبح من فريق مستشاري الجميّل والكاتب المعتمد لمراسلاته مع الإدارة الأميركيّة. وفي كتاب سيسيل عن سيرته يدافع عن العلاقة بين بعض الجنوبيّين وإسرائيل.

لا شكّ أن دراسة كتب حوراني تظلّ واجبة على دارسي الشرق الأوسط لكن يجب قراءة تلك الكتب والمقالات بعين ناقدة، خصوصاً بعد الاطلاع على سيرة حوراني وتعبيره عن آرائه في فلسطين وعن ديفيد بن غوريون وشارل مالك.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

الانفعالات والأزمات

* سعدالله مزرعاني

في الأزمات تتفجّر الانفعالات. وهي تصبح أكثر حدة واتساعاً وعنفاً بمقدار ما تتعمق تلك الأزمات، وتستعصي، ويكثر ضحاياها وتتعاظم أضرارها. الانفعالات، بشكل عام، صنفان. الأوّل إيجابي والثاني سلبي. أمّا الإيجابي، فهو الذي ينبثق عنه رد فعل مدروس ومتماسك ومحفّز. يحصل ذلك، فقط، من خلال اعتماد منهجية تفكير وتحليل ترتكز إلى العلم والوعي والموضوعية. بالاستناد إلى هذه المنهجية تتبلور خطة التعامل والعمل، لجهة الأولويات والأساليب والأدوات والقوى... تبدو المؤسسات، السياسية الحزبية، والاقتصادية والاجتماعية... ذات الأهداف والبرامج والأولويات الواضحة والمحددة، وذات البنية الحديثة التشاركية في شؤون اتخاذ القرار والإدارة والتنظيم، هي الأقدر على صياغة تعامل إيجابي مع الأزمات: كبيرها وصغيرها. ولا يقتصر الانفعال الإيجابي على المؤسسات، بل يمكن أن يصدر عن الأفراد أيضاً. طبعاً، مع فارق الفعّالية. الأفراد هؤلاء، قد يكونون منفردين في تعاطيهم ومبادراتهم، أو أن يكونوا ضمن تجمعات أصغر ذات طابع مدني أو اجتماعي أو أمني أو اقتصادي أو صحي... طبعاً كل تقييم للأحداث وللأزمات وللمواقف منها، كما أشرنا آنفاً، ينبغي أن ينطوي، بالضرورة، على حد كافٍ من صحة الإدراك للأزمة موضوع الاهتمام: في أسبابها والنتائج والمسؤوليات، بما فيها تلك التي يتحمّلها المعنيون من شركاء المسؤولية، أو أحياناً، من ضحايا تلقّي الخسائر أنفسهم.

أمّا الصنف الثاني، السلبي، فهو يتميّز بتقدم انفعاله على أفعاله. ويتسم هذا النوع من السلوك، في مجمله، بالتسرع والارتباك والاندفاع غير المحسوب... هو يعتمد، في الغالب الأعم، تفسيرات جزئية أو وحيدة الجانب. إن الأفراد هم، نسبياً، الأكثر اندراجاً في هذا الصنف بحكم أن قراراتهم وردود أفعالهم، هي ذات طابع فردي غالباً. بعضهم قد يمتنع حتى عن مجرد الاستماع إلى آراء أخرى، ولو كانت صديقة أو محايدة. وقد يستسهل هذا البعض إطلاق النعوت السلبية والشتائم، على من يُظن أنه مسؤول، وقبل أي تحقق أو تدقيق. ويغيب، غالباً، في مثل هذه الحالات، الحد الأدنى من الموضوعية في تحديد المسؤولين، أو حجم المسؤولية وكيفية توزيعها بما في ذلك المسؤولية الذاتية للمتلقّي: سواء لجهة عدم التزامه الحذر، أو حتى المشاركة في المسؤولية أحياناً، عن حصول الأزمة نفسها!

تشكل الانتخابات النيابية التي أجريت في 15 أيار الماضي محطة أُريد لها أن تكون حاسمة أو انعطافية، على الأقل، إثر اندلاع وتفاقم واستعصاء الأزمة الطاحنة التي ضربت لبنان وشعبه عموماً، قبل نحو ثلاث سنوات. بسبب الحجم الهائل للكوارث والخراب اللذين نجما عن تلك الأزمة، كان ينبغي أن تكون الحاسبة قاطعة عبر إقصاء وإسقاط شاملين للمسؤولين عن الانهيار المدمّر الذي أصاب البلد وناسه. لذلك حفلت المرحلة التي سبقت الانتخابات، خصوصاً بعد انفجار المرفأ قبل نحو سنتين، بصراع ضار انخرطت فيه قوى كبرى، دولية وإقليمية، فضلاً عن نشاط استثنائي لقوى محلية، وبدور قيادي مباشر للإدارة الأميركية. تم، في هذا السياق، تجنيد إمكانات هائلة سياسية وإعلامية ومالية وتحريضيه لتغذية الأزمة، من جهة، ولاستثمار نتائجها وتحميل مسؤولية حصولها لطرف دون سواه ولهدف ذي طابع إقليمي بعيد نسبياً عن الأزمة وعن المسؤولين الفعليين الداخليين، وداعميهم الخارجيين، عنها. رؤساء دول ورؤساء منظمات دولية، كانوا مجنّدين في الحملة السياسية لإجراء الانتخابات «في موعدها»، «صندوق النقد الدولي» أصبح لاعباً أساسياً في بذل الوعود وتحديد الشروط وصولاً إلى المجاهرة بـ«دراسة الجدوى السياسية» لكل قرض أو مساعدة محتملة بما فيها تمويل الكهرباء الأردنية والغاز المصري. هذا الصخب الخارجي الدولي والإقليمي والداخلي سبقه وخذله عجز «قوى التغيير» الناشئة، وخصوصاً منها المدعومة والمدارة من الخارج، عن البقاء في الشارع، وعن التوحد في المعركة الانتخابية. يضاف إلى ذلك أن قوى التغيير الوطنية قد عجزت عن التوحد في تيار وطني واسع، ما أدى إلى اكتفائها بدور ضعيف وهامشي في الانتخابات وفي الحياة السياسية عموماً من جهتها، استحضرت قوى السلطة، الأساسية والعريقة منها خصوصاً، ترسانتها المجرّبة في المعركة (وخصوصاً منها سلاح العصبيات الطائفية والمذهبية)، من أجل الدفاع عن مواقعها وتحديد خسائرها إلى الحد الأقصى. لم تأت النتائج حسب التوقعات والرغبات والمخططات. كيف تعاملت معها القوى المختلفة مع النتائج؟ وماذا كانت الانفعالات وردود الأفعال؟

لنبدأ، أوّلاً بالطرف الأبرز، الأميركي، حيث بكّر أحد مسؤوليه السابقين (شينكر) في التعبير عن خيبته من النتائج مستنداً إلى ما وصله من المعطيات لجهة صعوبات وتشتت حلفاء واشنطن. وهو ما لبث أن تراجع عن تصريحه لرفع المعنويات ولأن المعركة مستمرة! أمّا الطرف الأكثر مبالغة وانتصارية وتسرعاً، فكان رئيس «القوات» جعجع الذي تصور نفسه عاجلاً على القصر الرئاسي، وزفّ إلى حلفائه في واشنطن والرياض أنه استحوذ على الأكثرية التي تمكنه من تطبيق شعار «بدنا وفينا»! الثالث، في التسرع، على خفة ووقاحة، كان السنيورة الذي أعلن أنه بات يمتلك كتلة من 7 نواب، ما لبث أن كذّبه منهم 6! السفير السعودي وقع ضحية تسرع جعجع والسنيورة، وكتب يعلن انتصاره هو الآخر! باسيل، من جهته، تجاهل التراجع الكبير الذي مني به تياره وركّز على النجاحات فقط...

تعامل معظم أطراف السلطة على ضفتي الموالاة والمعارضة، بأنه الرابح الأول: لجهة، إمّا المحافظة على القديم، أو لجهة كسب أكثرية جديدة (الصحيح أن عدم سقوطهم المدوّي هو ربح كبير!). لكن اللافت كان ولا يزال في انفعالات عدد من مرشحي التغيير ممن كان حصادهم متواضعاً جداً في الأصوات. هؤلاء تفردوا إلى درجة المبالغة، وحتى عدم الاتزان، باللجوء إلى إطلاق الشتائم ضد الشعب ووصفه بالقطيع والجاهل والذي لم يستمع إلى مخلصيه... كان الأحرى أن يُجري هؤلاء وسواهم من قوى التغيير الحزبية والمدنية، بحثاً معمّقاً حول مجريات المعركة ومدى التداخلات فيها والقوى الكبرى التي تتصارع على كسبها... وكان عليهم بالطبع أن يراجعوا تجربتهم الخاصة، في هذا السياق، خصوصاً أن بعضهم يخوض تجربة مماثلة للمرة الأولى، تلك التجربة تحتاج إلى دراسة لجهة ظروفها وأشخاصها، ولجهة الشعارات وتعدد اللوائح، ولجهة الجهد والاستعداد المتوفرين قبل المعركة وأثناءها... كذلك ينبغي إيلاء أهمية خاصة، وتحديداً في الجنوب، لجهة أن عنوان المعركة الأساسي من قبل المعارضة المدارة أميركياً، إنما تجسّد في استهداف «حزب السلاح»... وإن جزءاً من جمهور المقاومة ومن مؤيديها قد عضّ على جرحه النازف على أيدي قوى المحاصصة والنهب والفساد، من أجل إفشال المشروع الأميركي!

* كاتب وسياسي لبناني

البلاد

على الغلاف

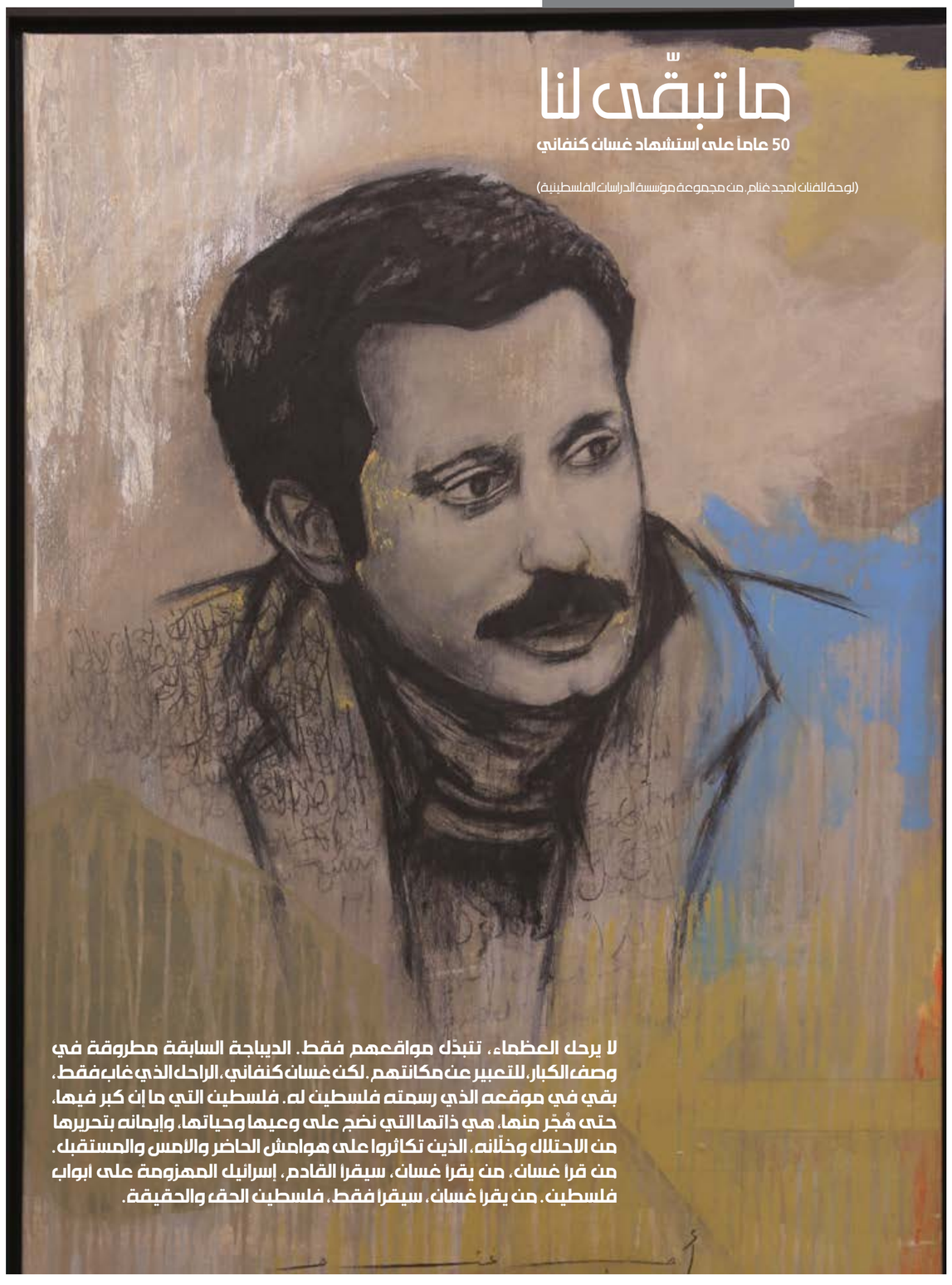

ما تبقّى لنا

50 عاماً على استشهاد غسان كنفاني

(لوحة للفنان أمجد غنام، من مجموعة مؤسسة الدراسات الفلسطينية)

لا يرحل العظماء، تتبدّل مواقعهم فقط. الديباجة السابقة مطروقة في وصف الكبار، للتعبير عن مكانتهم. لكن غسان كنفاني، الراحل الذي غاب فقط، بقي في موقعه الذي رسمته فلسطين له. فلسطين التي ما إن كبر فيها، حتى هُجّر منها، هي ذاتها التي نضج على وعيها وحياتها، وإيمانه بتحريرها من الاحتلال وخلّانه، الذين تكاثروا على هوامش الحاضر والأمس والمستقبل. من قرأ غسان، من يقرأ غسان، سيقرأ القادم، إسرائيل المهزومة على أبواب فلسطين. من يقرأ غسان، سيقرأ فقط، فلسطين الحق والحقيقة.

الطريق إلى فلسطين مفتوحة

أيهم السهلي

مقلقة الكتابة عن غسان كنفاني، وتشغل البال، فعن من سأكتب، ولمَن؟ عن هذا الرجل الذي أعجب أشد الإعجاب بمنجزه ربطاً بسيرة حياته التي تتقاطع مع معظم الفلسطينيين في تلك المرحلة.

فهذا الشعب كان مكلوماً بأرضه، مصاباً بالبحث عن جدوى من البقاء، وإذ به يقوم من بين الخيام ليعلن ولادته الجديدة نحو ثورة فلسطينية ستغيّر، بعد وقت وفي أواسط الستينيات من القرن الماضي، حياة الفلسطينيين، وتحولهم من لاجئين إلى ثوار وفدائيين يقاتلون من أجل العودة إلى أرضهم.

ثورة جمعت الجميع، والتفّت حولها الجموع في العالم، فنالت حصتها من التضامن والنضال، فخاض غمار هذه الثورة رجال من البلاد العربية، كما من اليابان والصين وباكستان وغيرها من دول العالم الحرة.

علم هؤلاء جميعهم، أن ثورة يقودها أبناء قرى ومدن مهجرين، لا يملكون أي شيء سوى الخيمة التي صار هدم عمدانها والعيش في العراء أهون من استمرار الانكسار.

كان غسان كنفاني واحداً من هؤلاء الذين هدموا الخيمة وخرج في العراء ليرتدي طريقه نحو فلسطين التي لم يعد إليها بجسده، إنما محمولاً على الأكف نحو مقبرة شهداء فلسطين في بيروت وفي كل مكان.

هدم غسان للخيمة، كان بالتمرد وتسلق الجبال، كان يكتب عن فلسطين، ويكتب عن الضياع، فأمّ سعد اللاجئة في مخيم برج البراجنة، بطلة روايته الشهيرة، هي بطلة في حياته الشخصية وحياة عائلته الصغيرة والكبيرة التي تحمل دمه حتى اليوم. ومثلها حامد في «ما تبقّى لكم» وحتى زكريا السيّئ.

في قراءة غسان كنفاني، ليس هناك متّسع للاستمتاع بالأدب وحرفته فقط، فالكتابة لديه، بقدر ما هي موثّقة للأحداث ومجترحة لها، هي أيضاً أداة للانتصار على الهزائم الداخلية والخارجية لدى الفلسطيني والعربي المكسور منذ النكبة وحتى اليوم. فالدم وحده لن ينتصر، والكتابة وحدها لن تنتصر، ولا حتى الرموز وتقديسها، والاستعانة بمهاراتها في النضال، فالنصر الذي جرّب غسان أن يمدّنا به، مدلوله ثابت، التكامل في العمل، أن نناضل، ليس بما أوتينا من قوة، بل أن يكون نضالنا سلوك حياة، أن يكتب الكاتب، ويلحّن الموسيقي، ويرسم الفنان، ويعالج الطبيب، ويبني المهندس، ويدافع المحامي، وينظّف جامع القمامة، والجميع الجميع، يقاتل في اللحظة التي ستأتي في وجه المستعمر، وفي وجه الفاسد وفي وجه المطبّع وفي وجه من أدخلوا قضيتنا في حالة عطالة مميتة.

> **في قراءة غسان كنفاني، ليس هناك متّسع للاستمتاع بالأدب وحرفته فقط، فالكتابة لديه، بقدر ما هي موثّقة للأحداث ومجترحة لها، هي أيضاً أداة للانتصار**

هؤلاء، لم يقبل بهم غسان، ولم يقبل بهم الشهداء، فاغتالهم الاحتلال، لأنهم عنوان مستقبل حتمي بالنصر، لذا لجأ للجم حياتهم الجسدية، ليدفع بغيرهم نحو الواجهة الأمامية، فصاروا واجهة الاستسلام والهزيمة، وواجهة متقدّمة لتعليم شعب تحت الاحتلال أن ينكسر. لكنّ الاحتلال، وإن برع في التخطيط والقتل، إلا أنه فشل تماماً في وقف تمدّد الشعب الفلسطيني نحو الحرية، وحتى وإن كان بعض هذا الشعب اليوم في حالة كمون كما هو ظاهر، إلا أن الصرخات تعلو رويداً رويداً، وما محاولة تضييق العيش على الشعب الفلسطيني إلا محاولة الخاسر البائس، حين يظن أو يقتنع بأن تجويع شعب أو إذلاله يمكن له أن ينهيه.

غسان كنفاني، لم ينبه إلى هذه الأيام، غسان كتب ماضينا وحاضره، لكن جدوى الكلام لديه، كان حصارنا في المعنى الفلسطيني لوجودنا، وحريتنا استناداً إلى مفعولنا اليومي في الحركة والحرية التي ندفع ثمنها كأبناء لهذه البقعة من العالم التي يقول البعض، هناك من لم يسمع بها في العالم. هذا صحيح، هناك من لم يسمع بنا في العالم، لكننا نواجه عدواً يعرفه العالم تماماً، لذا، فإن إنصاف التاريخ يوماً، سيكتب أن شعباً من بلد يقع كجسر للأرض، قاتل حتى الأبد وانتصر.

سيكتب التاريخ ما يشاء، وقد لا ينصفنا، سيكتبه الأقوياء حتماً، وقد نكون نحن في حقيقتنا الضعفاء، إلا أن الحق الذي هو نحن بالنسبة إلى قضيتنا، سيهزم الحقيقة ويكسرها، ويغلق عليها أبواباً شرّعتها الأنظمة والسلطات التائهة أمام أبناء فلسطين في المخيمات وفي الداخل، ولعل ما حصل في مناقشة رسالة الماجستير للأسير زكريا زبيدي في جامعة بيرزيت، هو طريقي التي اتّبعتها لكتابة هذه المادة عن غسان كنفاني، فالأسير المغيّب خلف معتقلات الاحتلال، حضر، والشهداء النائمون في مقابر الشهداء، يحضرون كل يوم في يومياتنا، لنتأكد أن الطريق إلى فلسطين مفتوحة.

غسان كنفاني يدعوكم إلى المقاطعة

[مقال لغسان كنفاني نُشر في الصفحة الأخيرة من مجلة «الحرية» في 13 حزيران 1966 العدد 315]

كم من المواطنين العرب، خلال الأيام القليلة الماضية، ردّ إلى البائع زجاجة كوكاكولا ورفض، دون إلزام ولا جزاء، شربها؟

تقول القليل؟ أقول لك كلا!

كثيرون هم الذين فعلوا ذلك، أكثر بكثير ممّا تتصور: لقد تحققت من الأمر بنفسي، وقال لي أكثر من بائع إن أكثر من زبون في اليوم الواحد يرد له زجاجة الكولا، ويرفض أن يشربها...

بل أكثر من ذلك: رأيت بائعين وضعوا صناديق الكولا خارج محلاتهم وردوها إلى الموزّع كما استلموها...

تقدّم خطوة أخرى وأسأل:

- أي نوع من الناس هذا الذي يرد زجاجة الكولا؟

وسوف يجيئك جواب واحد:

- الناس البسطاء، عمّال وطلاب ورجال ذوو ملابس متواضعة.

بكلمة أخرى: الشعب.

هناك أناس لا تعرفهم أنت، ليس بوسعك أن تتصورهم لأن مدى شاسعاً من الغربة يمتد بينك وبينهم، ولكنهم يستطيعون أن يكونوا، دون أن نعلم، بشراً أكثر إخلاصاً لأنفسهم منك، بل أيضاً أكثر إخلاصاً للوطن الذي أخذت منه أنت أكثر ممّا أعطاهم.

أولئك، أمامك ووراءك وفوقك، ينطقون ضمير هذا الوطن في غيابك

... ويرفضون حين يقفون أمام أنفسهم أن يضعوا على أفواههم زجاجة الدم الداكن.. نعم، بينهم وبين أنفسهم، بوحي هذه العلاقة العريقة، الراسخة، التي تستعصي على الارتشاء، القائمة في أعماقهم قبل أن تولد أنت، والتي ستظل بعد أن تمضي.. بينهم وبين شيء اسمه: قضية.

نعم، بلا إلزام ولا جزاء.. لأن الضمير الوطني الذي تحكي عنه زوراً يعيشونه، وهم يعرفون أكثر ممّا تعرف أن هذا الضمير فوق الإلزام، ولكنه أيضاً أكبر من الجزاء.

ويوسعك أن تشرب أنت ما شئت، ويوسع غيرك أن ينام على بيع الدم الداكن في زجاجات، ولكنهم هم الذين سيرفضون، وهم الذين سيزيدون يوماً بعد يوم وهم أخيراً الذين سينتصرون على الزجاجة الكريهة...

تلك التي تشجّ جبين العرب الآن..

.. يا صديقي!

(غ.ك)

توزيع ٤ قرش ساخ الأهرام

الوجه الآخر

الزجاجة الكريهة التي تشـــج جبيـــن العرب !

كم من المواطنين العرب ، خلال الايام القليلة الماضية ، رد الـــى البائع زجاجة كوكاكولا ورفض ، دون الزام ولا جزاء ، شربها ؟

تقول القليل ؟ اقول لـــك كـــلا !.

كثيرون هم الذين فعلوا ذلك ، اكثر بكثير مما تصور : لقد تحققت من الامر بنفسي ، وقال لي اكثر من بائع ان اكثر من زبون في اليـــوم الواحد يرد له زجاجة الكولا ، ويرفض ان يشربها ..

بل اكثر من ذلك : رايت بائعين وضعوا صناديق الكولا خارج محلاتهم وردوها الى الموزع كما استلموها ..

تقـــدم خطوة اخرى واسأل :

ـ اي نوع من الناس هذا الذي يرد زجاجة الكولا ؟

وسوف يجيئك جواب واحد :

ـ الناس البسطاء ، عمـــال وطلاب ورجال ذوي ملابس متواضعة .

بكلمة اخرى : الشعب .

هناك اناس لا تعرفهم انت ، ليس بوسعك ان تتصورهم لان مدى شاسعا من الغربة يمتد بينك وبينهم ، ولكنهم يستطيعون ان يكونوا ، دون ان تعلم ، بشرا اكثر اخلاصا لانفسهم منك ، بل ايضـــا اكثر اخلاصا للوطن الـــذي اخذت منه انت اكثر مما اعطاهم .

اولئك ، امامك ووراءك وفوقك ، ينطقون ضمير هذا الوطن في غيابك

.. ويرفضون حيـــن يقفون امام انفسهم ان يضعوا على افواههم زجاجة الدم الداكن .. نعم ، بينهم وبيـــن انفسهم ، بوحي هذه العلاقة العريقة ، الراسخة ، التي تستعصي على الارتشاء ، القائمة في اعماقهم قبـــل ان تولد انت ، والتي ستظل بعد ان تمضي .. بينهم وبيـــن شيء اســـمه : قضيـــة .

نعم ، بلا الزام ولا جزاء .. لان الضمير الوطني الذي تحكي عنه زورا يعيشونه ، وهم يعرفون اكثر مما تعرف ان هذا الضمير فوق الالزام ولكنه ايضا اكبر من الجزاء .

ويوسعك ان تشرب انتما شئت ، ويوسع غيرك ان ينام على بيـــع الدم الداكـــن في زجاجات ، ولكنهم هم الذيـــن سيرفضون ، وهم الذيـــن سيزيدون يوما بعد يوم وهم اخيرا الذيـــن سينتصرون على الزجاجـــة الكريهـــة ...

تلك التي تشـــج جبيـــن العرب الآن ..

.. يا صديقي !

(غ . ك)

البلاد

على الغلاف

غسان فلسطين في دمشق وبيروت

واصف أبو حميدة

منذ نصف قرن، حدثت الفاجعة، «حملت رأساً وبعضاً من صدر وبداً واحدة لصديقي ومعلمي غسان كنفاني، كدت أسقط أرضاً لولا مسارعة بعض الرفاق إلى مساندتي للصعود بذلك الحمل على الدرج». بهذه الكلمات يسترجع الصحافي المناضل عدنان بدر الحلو، ابن قرية مشتى الحلو السورية، مشهد

> كل تلك الأماكن لم تكن تفصيلاً بسيطاً في حياة غسان كنفاني وشخصيته

استشهاد غسان كنفاني، معبّراً عن رمزية ثقل الإرث والمسيرة التي تركها غسان له وللأجيال التي ستكملها وصولاً إلى فلسطين... حلم غسان. يصف عدنان تلك اللحظات بالقاتلة، ويضيف لـ«الأخبار»: «متأكد أنني لم أكن بكامل وعيي، لا أعرف كيف أرتميت على أحد مقاعد الصالون، ولا من أخذ بقية غسان من بين يديّ... كل ما أعرفه أنها كانت اللحظات الأصعب في حياتي».

لعل تلك المشهدية، التي تحاكي في دراميتها أعتى أساطير الإنسانية، هي أقرب وأوضح تجسيد للواقع، بعيداً من الصور، بعيداً من أي تشكيل أو تجريد، فكم نعيش اليوم بنصف صدر ويد واحدة مثقلين برؤوسنا. هبّت بيروت يومها؛ أكثر من 40 ألف شخص تزاحموا في شوارع المدينة لتشييع ابن الـ 36 عاماً، في جنازة ضمّت لاجئين فلسطينيين ومواطنين لبنانيين، ومثقفين وقادة سياسيين، ووُصفت في حينها بأنها إحدى أكبر التظاهرات السياسية التي حدثت في العالم العربي حينها.

عبروا الجبال تهريبا لتشييع ولدهم الشهيد

لم تع ريم كنفاني، ابنة شقيق غسان، تلك الحقبة، حين استشهد عمّها وهي لم تبلغ عامها الأوّل، لكنّ روايات ذاك اليوم المتناقلة أثقلت ذاكرتها وذاكرة أجيال، ليس ذاك اليوم فقط، فهو نتيجة المقاومة من أجل استعادة الأرض. لم يكن سهلاً على أفراد عائلة غسان، حتى وهم يحاولون توديع ما تبقّى من جسده، أن يصلوا إلى بيروت. تروي ريم كنفاني من بيت العائلة في دمشق لـ«الأخبار»: «جدي المحامي محمد فائز كنفاني كان يقضي العطلة في منطقة كفرون إحدى المصايف السورية القريبة من الحدود اللبنانية، سمع خبر استشهاد غسان من الراديو، وكان الفلسطيني يومها ممنوعاً من الدخول إلى لبنان كما جرت العادة! لذا هرع عبر الجبال ليصل إلى بيروت تهريباً بمساعدة أهل كفرون الذين يحفظون تلك الأراضي ببراعة أكبر من حدود وأسلاك مصطنعة».

تخبرنا ريم أن معظم أفراد العائلة اجتمعوا يومها في بيروت، فوالدها عدنان أيضاً كان بعمله في دمشق عندما علم بخبر استشهاد شقيقه، لينطلق سالكاً طرق التهريب الجبلية وصولاً إلى بيروت: «التشييع المهيب الذي خرج له في بيروت لم ينته في مقبرة الشهداء هناك، بل امتد لسنوات في كل العواصم العربية والعالمية، وبالطبع دمشق كانت في مقدمة العواصم، وكيف لا وهي التي حفظ غسان صورة وجهها ورسم بين حاراتها ذكريات الشباب الأولى».

دمشق وغسان

عام 1948، خرج غسان كنفاني برفقة عائلته من فلسطين في سيارة شحن إلى لبنان وكان يبلغ من العمر 12 عاماً، وبعد يومين من الانتظار استأجروا بيتاً قديماً في بلدة الغازية قرب صيدا جنوب لبنان، بعدها بمدة صغيرة، انتقلوا بالقطار مع آخرين إلى حلب (نزلوا في حمص بناءً على إصرار والده)، ثم إلى الزبداني فدمشق. تقول ريم: «سكنت عائلة جدي في حي الميدان، ثم انتقلوا إلى منطقة زقاق الجن في البرامكة، طبعاً كانت البيوت التي سكنوها بالإيجار، إلى أن استقروا أخيراً في منطقة المجتهد وسط دمشق».

كل تلك الأماكن لم تكن تفصيلاً بسيطاً في حياة وشخصية غسان كنفاني، يقول صديقه عدنان الحلو: «كان لغسان شغف كبير ببعض الأماكن التي تترك لديه انطباعات خاصة. هل ثمّة رابط بين هذا الشغف وبين حرمانه من وطنه فلسطين؟ لا أستطيع الجزم وإن كنت أميل إلى وجود رابط ما».

ريم كنفاني لا تختلف مع مقولة صديق عمّها: «كان انتماء غسان إلى الأماكن كبيراً، بدءاً من المكان الذي ولد فيه وبقي مطبوعاً في ذاكرته، حارات يافا وعكا التي ترعرع فيها في فلسطين كانت حاضرة بكل قصصه، كان يتميّز بالوصف الدقيق للأماكن التي عاش فيها، كما أثرت فيه فترة وجوده في دمشق مثل بقية الأماكن التي سكنها، إلا أنها كانت فترة تعب له على صعيد الشخصي». «دمشق كانت قاسية على غسان مثلما كانت كل المدن العربية قاسية على أبناء فلسطين» وبرنامج «الطلبة» عبر أثير إذاعة دمشق، ولم تخل تلك الفترة من انخراطه في العمل نصرةً لأي قضية محقّة، حيث اعتصم مع رفاق له في مكاتب جريدة «الأيام» وأضربوا عن الطعام من صباح الإثنين 1955/4/25 وحتى مساء الأحد 1955/5/1، لتحقيق مطالب تتعلق بالمعلمين.

في بيروت: تترك المدن فينا كما نترك فيها

جاء الوقت الذي عاش فيه غسان في بيروت التي عمل فيها صحافياً، وأنتج رواياته الشهيرة فيها، وربطته بهذه المدينة علاقة خاصة، يتحدّث عنها صديق الشهيد عدنان الحلو: «لفهم ما تعنيه العاصمة اللبنانية في حياة غسان ينبغي التوقف أمام محور رئيسي في معظم رواياته، هو نظرته السلبية إلى الهجرة الفلسطينية بعيداً عن محيط فلسطين، لقد كان يحاول في جميع هذه الكتابات أن يشير إلى الطريق المعاكسة، طريق التوجه نحو فلسطين، لا بعيداً عنها، وهكذا كانت بيروت بالنسبة إليه محطة هامة جداً (جغرافياً ونضالياً) على طريق العودة إلى فلسطين. نعم كانت بيروت منطلقه في كل نشاطاته من أجل خدمة القضية أدبياً وسياسياً وإعلامياً ونضالياً بكل ما تحمله كلمة نضال من معان تُوجت باستشهاده».

وعن المناطق اللبنانية التي أحبّها كنفاني وتردّد إليها كثيراً، يقول الحلو لـ«الأخبار»: «غسان كان مدمناً على زيارة بعض الأماكن الريفية في جبال لبنان الساحرة، وكان يدأب على أخذنا معه في نهاية أسبوع العمل إلى بعض هذه الأماكن، ومنها مقهى الصخرة في بلدة شملان الذي كان يتردد عليه قبل سنوات للانفراد والاستغراق في كتابة بعض رواياته، إضافة طبعاً إلى بعض المقاهي البيروتية كـ شاليه سويس، الدولشي فيتا، والهورس شو».

ما بعد الرحيل

مع أفول دخان التفجير الذي ضرب الحازمية وأسفر عن استشهاد غسان وليس ابنة شقيقته فايزة، أدرك الفلسطينيون والعالم العربي هول الفاجعة التي ألمّت بقضيتهم، يقول عدنان الحلو: «المعروف أن القادة الإسرائيليين الذين اتخذوا قرارهم بتصفية غسان كنفاني قد علّلوا ذلك بالدور السياسي والإعلامي والنضالي الذي كان يمارسه غسان، هذا الدور الذي امتدّ على مساحة العالم وبشكل خاص في أوروبا، حيث كان لنشاطه الإعلامي في الدول الإسكندنافية، خاصة بمساعدة زوجته أنّي الدنماركية، أصداء واسعة جداً، ومع ذلك أعتقد، وهذا ما كتبته مراراً، أنهم كانوا يعون تماماً حجم الدور القيادي الذي كان غسان مؤهلاً للعبه في المراحل القادمة، لا على صعيد الجبهة الشعبية فقط بل على الصعيد الوطني الفلسطيني بشكل عام، وكان غسان يقول دائماً نحن الآن لسنا الثورة، نحن نهيّئ للثورة».

يعتبر الحلو أن استشهاد غسان خسارة للقضية الفلسطينية «غير أنها ظلت وستبقى إلى زمن طويل تتغذى من عطاء غسان وحضوره المستمر... وكنت قد كتبت بعيد استشهاده، وصدّقتني الأيام والسنوات، أن لجميع الذين يغادروننا دويّاً... وهذا الدوي سرعان ما يتضاءل مع مرور الزمن، إلا مع غسان كنفاني الذي يزداد حضوراً عاماً بعد عام، وهذا ما يحصل بالفعل، ففي كل عام، ومع كل ذكرى نفاجأ بحضور لغسان كنفاني أكبر منه في الأعوام السابقة».

أطفالك يكبرون

حنين رباح

أطفال غسان كنفاني في رواياته يجوعون ويكدحون ويتعفّفون، يكبرون سريعاً ويصبحون رجالاً في العاشرة من أعمارهم. لا ينصاعون إلى الشكوى فيخفون أحزانهم وشقاءهم ويزمّون الشفاه ولا يشتكون. هذا ما راه المعلّم في قصة «كعك على الرصيف» وهو يحاول فهم تلميذه حميد: «لقد بدأت مشكلة حميد تدخل شيئاً فشيئاً في ما بعد، إلى حياتي. كنت لا أستطيع على الإطلاق أن أكون عاجزاً في حياته، متفرجاً إلى ماساته». ما كتبه كنفاني

> خرّجت المؤسسة أكثر من 10 آلاف طفل منذ انطلاقها

في القصص التخيّلية ليس منفصلاً عن الواقع، وهو ما كرره مراراً في مقابلاته الصحافية، فتلاميذه ينامون في الصف لأنهم يعملون في الليل ببيع الحلوى في دور السينما. صورة الطفل لدى كنفاني في رواياته «ورقة من الرملة»، و«أرض البرتقال الحزين»، و«اليومة في غرفة بعيدة»، تشاركها مع زوجته أنّي هوفا، دنماركية الأصل التي عاشت حياتها في سبيل القضية. فبعد استشهاد غسان كنفاني، عملت على التعمق في تاريخ فلسطين والقضية وحققت جزءاً من مخططاتهما معاً؛ إنشاء مكان آمن لأطفال المخيمات. تقول أنّي إن أحاديث طويلة جمعتها به عن إنشاء مؤسسة أو مركز للأطفال اللاجئين. كَبُر هذا الحديث قبل استشهاده بسنة واحدة. وقد كان يؤمن بأن «الكفاح طويل وأنه لن يعيش ليعود إلى وطنه، لكنه آمن بأن أطفال فلسطين سيحققون حلم العودة». من هنا انطلقت فكرة «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية» التي أنشئت كجمعية لبنانية في الذكرى الثانية لاستشهاده عام 1974، والتي تهتم بالأطفال بشكل خاص.

بدأ التجهيز لإطلاق لجنة لجمع ونشر كتب غسان كنفاني الأدبية من روايات وقصص قصيرة ومسرحيات وأطروحات. كان لرفيق دربه الراحل فاروق غندور الأثر البالغ في تنظيم إنتاجات الشهيد والمحافظة عليها، بدأ سريعاً بجمع قصاصات الورق الصغيرة قبل المجلّدات لحفظها وأنشأ مع زوجة غسان وعدد من الأصدقاء مجموعة «التخليد» لحفظ إرثه ونشره. تحولت بعد سنتين تقريباً إلى «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية». تفاصيل ترويها لـ«الأخبار» ابنته الفنانة ليلى كنفاني: «اخترت أنّي أن تكمل نهج غسان، فلم تملك موهبة الكتابة، ذهبت إلى حيث التقيا وخطّطا معاً، تعليم واحتضان الأطفال قبل المدرسة»، فـ«الأونروا» لا تستقبل أطفال الحضانة. بالإضافة إلى نشر أعمال غسان كنفاني، كان هدف المؤسسة هو العمل من أجل الأطفال، بدءاً بالأطفال بين ثلاث وست سنوات، وتستقبلهم في الروضات، ثم الأطفال الأكبر سناً الذين أنشأت لهم المكتبات وأندية القراءة والتمثيل والفنون. ذهبت المؤسسة بعيداً إلى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والمكفوفين خاصة، بدأت ببرامج دمجهم منذ عام 1995 رغم أنها كانت تفتقر إلى الخبرات والمهارات، إلا أنها كانت تستقبل الأطفال بكل احتياجاتهم. تقول ليلى، وهي عضو الهيئة الإدارية للمؤسسة: «أطفال غسان كنفاني اليوم اشتد عودهم، نالوا شهادات عليا ومنهم المكفوفون، ويتكافلون ويدعمون هذه المؤسسة»، بعضهم عاد إليها أساتذة بعدما خرّجت المؤسسة أكثر من 10 آلاف طفل منذ انطلاقها.

لم تدعم مؤسسة غسان كنفاني المرأة من خلال توفير فرص عمل لها وحسب، بل كان هدف التركيز على الأطفال في عمر ما قبل المدرسة هو لإتاحة فرصة للنساء في مخيمات اللجوء الفلسطيني لإكمال تعليمهنّ أو عملهنّ بعد الإنجاب. هي مساحة آمنة للأم والطفل. امتدت في ستة مخيمات بدءاً من مخيم برج البراجنة في بيروت، لم تقتصر فقط على روضات الأطفال ومراكز التأهيل، بل بدأت المؤسسة تتوسع وتمّ إنشاء أول مكتبة عام 1996 في مخيم عين الحلوة، لتتوالى في مخيم نهر البارد والبداوي والرشيدية. هذه المكتبات تنشر بالدرجة الأولى قصص غسان كنفاني وكتاباته إلى جانب مروحة واسعة أمام الطلاب والباحثين. وبذلك تصل المؤسسة لتستهدف الأطفال، وصولاً إلى عمر الـ 18 عاماً من خلال الروضات والأندية والمكتبات.

أراد غسان كنفاني لأطفال فلسطين ألّا يستسلموا وألّا يتوقفوا عن المحاولة، أراد لهم ألّا يتخلّوا عن أحلامهم. كتب لهم قصة «القنديل الصغير» حتى يُدركوا أن الجدران التي نبنيها من حولنا والسجن الذي نضع أحلامنا وأفكارنا داخله لن يرينا الشمس مهما حاولنا. وهذا ما أرادته «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية» لأطفال المخيمات بعد رحيله. بالإضافة إلى كونها تفتح أبوابها لجميع الأطفال، فـ«ترى لدينا العديد من الجنسيات، بعضهم سوداني، والآخر سوري وأيضاً يأتي إلينا الأطفال اللبنانيون وخاصة في منطقة بيروت»، تقول ليلى. لكن من المهم أن «يدرك الطفل الفلسطيني هويته الفلسطينية»، ومن أين أتى، «ندلّهم على الخريطة» ويردّدون أسماء المدن التي هجّروا منها. المؤسسة تعطي دروساً عملية لا تقتصر على الدروس النظرية التلقينية لتطوير مهارات الأطفال واكتشاف هويتهم.

مشوار المؤسسة مليء بالكفاح، فبعد 48 سنة من تاسيسها تجد صعوبة في التمويل. لا مشاريع إنتاجية أو تجارية تقوم عليها هذه المؤسسة، فقط تبرعات الأصدقاء والمحبين إلى جانب تلقّيها تمويلاً خارجياً من خلال إطلاق المؤتمرات والنشاطات، فتكلفة التسجيل رمزية جداً ولا تغطي 10% من المصاريف، وُضعت لتشعر الآباء والأمهات بنوع من «التعفف والكرامة» والمسؤولية، وبعض الأطفال يسجلون مجاناً. وبحسب ليلى، فإن «مبادئ المؤسسة صعّبت تأمين المال اللازم لتسيير المركز، فالتمويل يمر بمرحلة تصفية كبيرة، مع العلم بأننا لا نتعاطى في المجال السياسي للفصائل، ونرفض تغطية 10% من المصاريف، وُضعت لتشعر الآباء والأمهات بنوع من «التعفف والكرامة» والمسؤولية، وبعض الأطفال يسجلون مجاناً. وبحسب ليلى، فإن «مبادئ المؤسسة صعّبت تأمين المال اللازم لتسيير المركز، فالتمويل يمر بمرحلة تصفية كبيرة، مع العلم بأننا لا نتعاطى في المجال السياسي للفصائل، ونرفض ذلك، لكن لا يمكن أن نكون بعيدين عن أفكار المقاومة والوطن والعودة التي هي أصل أهدافنا».

غذّى كنفاني الصغير في داخله، هو الذي خسر طفولته باكراً، لم يتخلّ عن الأطفال وحقهم، زرع لهم أشجار البرتقال والزيتون وزرع فيهم الطفل إلى الأبد. حثّهم على الخروج من غرفهم الضيقة وأرشدهم إلى الشمس. الطفل الفلسطيني لدى غسان هو الحكاية التي بدأت خارج الوطن، لكن نهايتها مع عائلاتهم على أرض واحدة في بيت واحد، وينسجون أحلامهم الصغيرة من دون خوف.

(مروان بو حيدر)

كنفاني لم يكن «كنافياً»!

زاهر أبو حمدة

صباحاً، قبل الضحى بقليل. تعرّق أطفالٌ لم تتجاوز سنّهم العاشرة بسبب الاستمرار في «الطلوع» بـ«طلعة جبل الحليب» في مخيم عين الحلوة. المقصد كان روضة الشهيد غسان كنفاني، وموقعها في أقصى جنبات المخيم. أحد الأطفال، تأتأ لزملائه عند الوصول وقراءة اليافطة المقوّسة المُعرّفة بالمكان: «غسان كنفاني... الفطور كنافة على هيك». تلقائياً، حذف الاسم الأوّل واهتم بالصفة. يبدو أنه كان جائعاً. استقبلت آنسة الأطفال المتعبين، وأدخلتهم إلى غرفة تملأها ألعاب كثيرة وطبلية مستديرة توسّطتها وتحلّقت حولها كراسيّ صغيرة. جلسوا، وإذ بالطفل نفسه يهمهم: «الكنافة جاي... ولا ليش قعدونا». تدخل سيدة تسأل عن الأسماء وأماكن السكن. لتعود الآنسة الأولى وتبادر بتوزيع قرطاسية ودفاتر للرسم. فهموا أن لا كنافة في الطريق، إنما حصة تلوين ورسم.

انتهت الحصة الأولى من اليوم الأوّل للنشاطات الصيفية المجانية. كان ذلك في منتصف التسعينيات، وبعد اتفاق أوسلو مباشرة. أثناء الحصة الثانية، وهي نشاطات رياضية، انشغل الجميع باللعب في باحة الروضة. أمّا ذاك الطفل فذهب يفتش عن الكنافة الموعودة. دخل المطبخ: «وين الكنافة؟». وبّخته امرأة وهي تغلي ركوة قهوة، فعاد منزعجاً إلى رفاقه. وفي خلال الحصة الثالثة، دخلوا إلى المكتبة، وركّن على الرف مجموعة قصصية باسم «أطفال غسان كنفاني» وفي وسط الحائط خُطّت عبارة «الأطفال هم مستقبلنا». تحتها قائلها، أي غسان. تخيّل الولد الشقي أن للرجل الكنفاني أبناء يطعمهم يومياً الكنافة، فحسدهم في باله المشغول منذ قدومه بطبق أو ساندويش يُمطر منه القطر. قطعت الآنسة خياله بسؤال عام: «بتعرفوا غسان كنفاني؟». تبلّدوا جميعاً إلا هو: «لا ما بعرفو بس بدي آكل كنافته». ابتسمت الآنسة واسترسلت في الشرح والربط بين أحداث حصلت وأخرى تحدث، وعن شخص تحوّل في قادم الأيام إلى رفيق درب وليل برواياته ومقالاته للطفل ذاته.

> كيف لهذه الإنجازات أن تحصل في عمر قصير؟ ربما هي خليط من الإبداع الفوضوي المُرتب بإتقان، كما «سدر الكنافة»

صحيح أن للإنسان نصيباً من اسمه، أو هكذا الظن، إلا أن الأسماء بتشعّباتها تزول إذا ما اقترنت بفعل ربما تتحوّل إلى صفة تلازمه. وهكذا لم يعرف الطفل سوى الصفة من الاسم. وإذا عدنا إلى أصل الكنية فنجدها تمتد إلى الكنافة أو صانعها في دمشق الصغرى، أي نابلس، أو دمشق العاصمة حيث صُنعت للمرة الأولى للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان حين أقام في الشام. أمّا الخيار الآخر، فهو يعود لأصل كلمة كنافة المُشتقة من الكلمة العربية كَنَف وتعني الإحاطة. وبالتالي صانع الكنافة وبائعها هو الكنفاني، أمّا غسان فكان صانع الأمل وبائع التحدي عبر أعماله. فعاش اسمه وسبقه فعله.

يفاخر الفلسطينيون بإنتاجهم الثوري وفي مقدمة ذلك ما تركه غسان من مؤلفات تؤرخ لهم وتقصّ حكاياتهم وتدعوهم للاستمرار. كتب الحكايات وأسرّ بالخفايا حتى تحوّل إلى حكاية قائمة بسيناريو وحبكة تشبه حالهم منذ ما قبل النكبة حتى حلم التحرير. لذلك تجده مؤثراً على الرغم من غيابه، وأمثاله قلة. والسؤال يظل يراود الطفل حين كبر: كيف استطاع هذا الكائن أن يكون بهذه الهيئة الممتدة لأكثر من 50 عاماً، وبهذا الإنتاج في سياق مكتظّ بالعمل السياسي والإعلامي والأدبي وهو استشهد في عمر الـ36؟ وإذا اعتبرنا أن أعوام المراهقة مُلغاة من الحسابات، فاستطاع في 20 ربيعاً أن يتحوّل إلى مثقف تغييري، مناضل عضوي، قائد مفكّر، عاشق رومانسي، وأب غير تقليدي. كيف لهذه الإنجازات أن تحصل في عمر قصير؟ ربما هي خليط من الإبداع الفوضوي المُرتب بإتقان، كما «سدر الكنافة». مقادير عديدة مُزجت في مزاج أديب ليكون السياسي أو الصحافي في قمة كتاباته فكان الإنسان. ولهذا الإنسان سر من أسرار الآلهة المتبعة في أرض كنعان في سالف الأزمان. ولو لم يكن كذلك لتكرّر شخصه أو تجربته بدين آخر أو على هيئة سيرة ذاتية تأتي كل قرن مرة وفي مكان مختلف. غسان كنفاني: كنافة فلسطين الأدبية والسياسية ولها خلطتها وسرّها ونكهتها المميزة. ولعله لا يوجد فلسطيني يكره الكنافة، كذلك غسان. لن تجد أحداً لا يحبه أو لم يتأثر به. هو أصل البداية لأطفال فلسطين، كنتُ أحدهم. ولطالما تذكّرت غسان عند حضور الكنافة، وما نسيت الكنافة إلا لاستحضار غسان.

البلاد

على الغلاف

كيف نحمي غسان كنفاني؟

نضال خلف

في الحروب الاستعمارية، تُعدّ عمليّة تشكيل الرموز وتقديمها للجمهور معركةً جوهرية في حرب صناعة الوعي، وإن كانت آثارها لا تظهر بوضوح في الحاضر. ولعلّ أبرز الأمثلة على هذه المعارك كانت صورة جيفارا في حروب تحرير أميركا اللاتينية. فقد شكّلت شخصية إرنستو جيفارا نموذجاً فردياً يختصر الروح الثورية لشعوب تقاتل لكسب حريّتها من الهيمنة الأميركية. ومع إدراك الإمبراطورية الأميركية لعجزها عن تحطيم صورة جيفارا، تمّ تحويل هذه الصورة إلى سلعة استهلاكية لحرفها عن معانيها الثورية وتجييرها في خدمة سياسات اقتصادية وثقافية مناقضة لمبادئ جيفارا نفسه وما يمثّل.

وفي سياقنا العربي، لا تزال حرب تحرير الرموز العربية من أسر محتكري التاريخ في أوجها، بما تشمل من تعميةٍ على أبطال منسيّين مقابل اختلاق أساطير وهميّة مهمّتها العبث بحدود الوطنية والخيانة في العقل العربي.

وفي هذا السياق، تمرّ الذكرى الخمسون لاغتيال الشهيد غسّان كنفاني، حيث تزدحم الصفحات والمواقع باستذكار سيرة غسان وأقواله وأبرز انتاجاته. ومن العجائب التي لم تعد تبعث على الاستغراب، أن يُحتفى بغسّان كنفاني على منصّات تطبيعية وأخرى ليبرالية، فيما ترتفع أصواتٌ لتحيي ذكرى غسان وهي في صلب المشروع المُعادي تحت مظلّة قواعده العسكرية. من هنا، يطرح السؤال نفسه: أي غسّان كنفاني نحيي ذكراه اليوم؟ وكيف نحمي غسّان الذي نعرف؟

> يتطرّق كنفاني إلى معضلة أساسية تثقل واقعنا السياسي حتى اليوم، هي أزمة «أولوية التغيير الداخلي على التحرير»

لقد شكّلت حياة غسّان كنفاني مادة مكثّفة للقرّاء والمتابعين والمحللين بعد استشهاده. لكنّ تلقّي غسان لم يكن مستقلاً عن السياقات السياسية للمتلقّين، مما أنتج عدّة «نسخ» من غسّان كنفاني، نستعرض في ما يلي بعضها.

غسان كنفاني: الأديب (فقط)؟

النسخة الأكثر انتشاراً لغسان كنفاني هي نسخة «الأديب» الذي كان يكتب قصصاً ومسرحيّات وينقل الواقع الفلسطيني. وقد يبرّر انتشار هذه النسخة كون المنتوجات الأدبية لغسّان هي الأكثر انتشاراً بين الناس، وهي التي ساهمت في نشر اسمه بشكل كبير.

إن حصر غسّان كنفاني في خانة «الأدب» ليس بالفعل البريء دوماً، وفي جانبٍ من جوانبه اختزالٌ متعمّد للعمل السّياسي لغسّان كنفاني. فغسّان كان مسؤولاً في التعبئة والإعلام وجزءاً من دائرة القرار السياسي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» منذ كانت في إطار حركة القوميين العرب، وقد ظلّ على ذلك حتى استشهاده. كما أن الإنتاج الأدبي لغسّان لم يأتِ يوماً على حساب موقعه السياسي، ولا في أيّ لحظةٍ من مسيرته. أمّا على صعيد الإنتاج، فإنّ الدراسات والأبحاث السياسية، إضافة إلى المقالات والعمل الصحافي التحريري، لا تقلّ في غزارتها وأهميّتها عن المنتوجات القصصية والمسرحية. وحتى الأخيرة لم تكن منفصلة عن السياق السياسي، بل كان السرد إطاراً يطرح من خلاله غسّان فكره السياسي والاجتماعي وحتى الفلسفي. من هنا، تسقط صورة غسّان «الأديب المنخرط في السياسة» لتحلّ محلّها حقيقة غسّان-السياسي الذي طوّع الأدب في خدمة قضية سياسية.

خطورة هذا الاختزال المتعمّد تكمن في فتح الباب على تكوين صورة «مشذّبة» لغسّان كنفاني تصدّر للجمهور من قبل صفحات ومنصّات ليبرالية (وحتى مطبّعة) لتكسب رصيداً باسم غسّان.

وبذلك، يتحوّل الاختزال إلى تشويه متعمّد يجعل من اسم غسّان كنفاني «عسلاً» يدسّ في سمّ الأفكار الانعزالية والليبرالية والمعادية لكلّ مقاومة على أرضنا تحت شعارات الحرية والتحرر. وإلا، كيف نفهم احتفاء منصات ليبرالية ومؤثرو قاعدة العديد بغسان كنفاني؟

غسان كنفاني: الفلسطيني (فقط)؟

ومن الاختزالات المُجحفة بحقّ غسان كنفاني حصر شخصه وإنتاجاته بـ«فلسطين» المرسّمة بقلم الاستعمار. ومجدّداً، بالإمكان إيجاد عذر لهذا الاختزال لكون فلسطين هي البُعد الأوّل لهويّة كنفاني السياسية والأدبية، وأيضاً بسبب ارتباط تجربة غسّان ومسيرته بالتجربة الفلسطينية العامة من حربٍ وتهجيرٍ قسريّ وشتات وصراع للعودة.

يذهب البعض بعيداً في التركيز على فلسطينية غسّان بما يغطّي على بُعده العربي الذي لم يخفه يوماً. في الواقع، إنّ قراءة الدراسات السياسية لغسان كنفاني تكشف لنا حقيقة غسّان كمفكّر قومي عربي، اجتهد وعمل وناضل في سبيل تطوير إطارات عمليّة للنظرية الثورية العربية.

ويبرز ذلك بوضوح في دراسته المعمّقة بعنوان «القضيّة العربيّة في عهد الجمهوريّة العربيّة المتحدة» التي يطرح من خلالها جوهر الحرب المفروضة على منطقتنا، إضافة إلى تحديد معسكري الأعداء والأصدقاء، وصولاً إلى تعريف الهدف الرئيسي في الحرب، ألا وهو التحرير كشرط للوحدة والنهضة. ويستكمل غسان استنتاجات هذه الدراسة بدراسة أخرى بعنوان «التطبيقات الثورية للقومية العربية» الصادرة عام 1959، والتي يفصّل فيها بإتقان مفهوم الوحدة العربية وأدوات تطبيقها عمليّاً.

ويذهب غسّان كنفاني أبعد من ذلك إلى اعتبار مواجهة الفكر الانعزالي (الإقليمي) ضرورةً ثورية، إذ يصف «الانعزالية» بأمر «يتناقض وطبيعة تكوين المجتمعات». والانعزالية أو «الإقليمية» هي نزعات مضادة للوحدة تقوم على تحديد مصالح المجتمعات انطلاقاً من الحدود الاستعمارية، عبر اعتبار كلّ دولة عربية «مستقلّة» بذاتها كما شاء لها سايكس وبيكو.

ويتطرّق كنفاني إلى معضلة أساسية تثقل واقعنا السياسي حتى اليوم، هي أزمة «أولوية التغيير الداخلي على التحرير». ولن نجد في الإجابة على هذا السؤال صياغةً أفضل ممّا كتبه غسّان حين اعتبر بأنّ «طرح مفهوم [التركيز على النهوض الداخلي أولاً] هو استبعادٌ متعمّد للمدّ الشعبي المتّجه إلى الوحدة بصلابة، وتحويله إلى معارك جانبية وإقليمية يسهل حرفها (ما دامت كل دولة عربية ليست -قومياً- في مستوى تحرّري كامل جدير بالبناء الاجتماعي السليم)». ويختم غسّان طرحه بأنّ «الوحدة شرطٌ من شروط النهضة...حتى الإقليمية منها».

نذكر هذه الأفكار كنماذج من فكر غسّان كنفاني القومي العربي، والذي كان بجوهره مناهضاً بقوّة ووضوح للانعزالية وللإسقاطات المعلّبة للماركسية وسواها. بالتالي، فإنّ احتفاء أصحاب هذه الأفكار بغسّان يشير إلى استغلال هؤلاء لرصيد غسّان (من جهتهم) وإلى خللٍ كبير في حماية غسّان (من جهة المؤمنين بأفكاره).

كيف إذاً نحمي غسان كنفاني؟

البداية تكمن في تعريف أنفسنا. فهل نحن مؤمنون بطرح غسّان كنفاني ورؤيته للصراع الدائر على أرضنا وعلى حساب دمنا وأرواحنا ومصائرنا؟ إن كان الأمر كذلك، فواجبنا الأول هو استعادة غسّان كنفاني من حلقات الاستهلاك المبتذل، وتعريفه للجمهور بحقيقته التي لا غبار عليها: مناضلٌ قوميٌّ عربي صاحب الإسهامات الأكبر في النظرية الثورية العربية الحديثة. كما ومن مسؤولياتنا أيضاً، استعادة روح العمل الحزبي، الذي كان غسّان رائداً فيه، وتصحيح الأطر الحزبية العربية لاستيعاب الطاقات المهدورة في سجون النشاط الافتراضي، وفي أروقة «المنظمات غير الحكومية» ومتاهات التيئيس والتثبيط.

يقتضي واجبنا اتجاه غسّان كنفاني بأن ندرك واقعنا وشروطه، وأن نحدّد أهدافنا بوضوح، منطلقين من إيمانٍ عميق بدورنا الحضاري كأمّة، وبأنّ تحرير الأرض خطوةٌ على طريق الوحدة، وبأنّ الوحدة شرط النهضة التي بدورها ترفعنا إلى مقامنا الحضاريّ بين الأمم.

والختام أيضاً مع جزءٍ من وصيّةٍ مستمرّة لغسان كنفاني:

«إنّ الإنسان الذي لا يعمّر في المتوسط أكثر من ستين عاماً لن يجد متّسعاً ليعيش بسكون، بل سوف يحمل الأزمة منذ يولد... وسيعطيها لأبنائه ساعة يموت، وستكون نتائج هذا النضال لجيلٍ لا نعرف متى سيأتي وإن كنّا نتفاءل بمشاهدة أوائله في أواخر عمرنا... وقد يكون جزاؤنا الوحيد هو أن يغبطنا الجيل القادم، الجيل السعيد الذي سيتمتع بانتصاراتنا، على أننا أحرزنا شرف الحياة في عصر الصراع من أجل الحياة. وهذا يكفينا مؤقتاً».

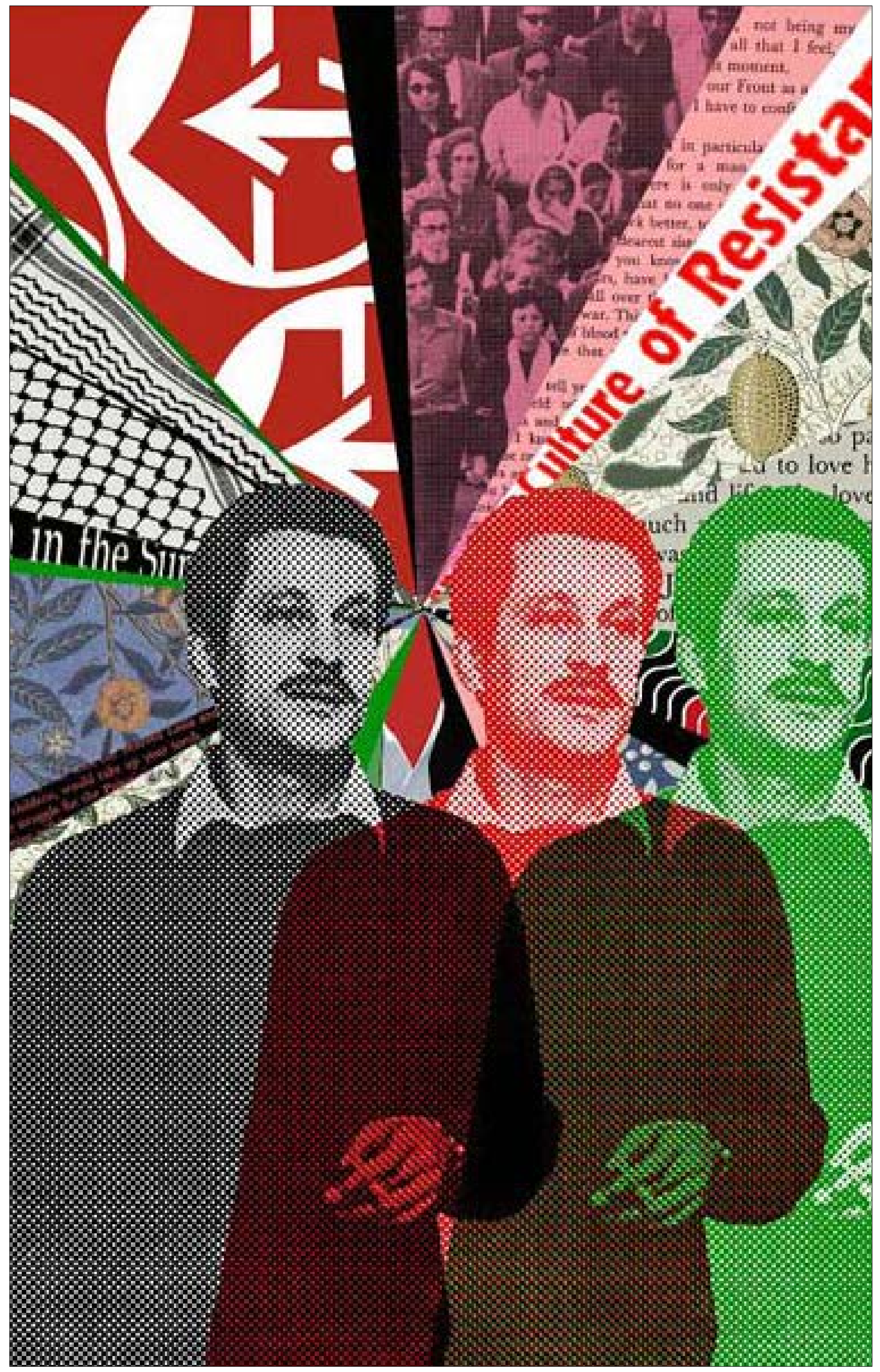

(كايل غوين)

الألم الذي يمشي في المقدّمة

تغريد عبد العال

عزيزي غسان،
كيف يستطيع الألم أن يمسك بالأشياء من أطرافها الحادّة؟ أو كيف يستطيع أن يعطي معنى آخر للأشياء التافهة؟ خطرت لي هذه الأسئلة قبل يومين وأنا أقلّب كتابك: «موت سرير رقم 12»، فوجدت قصة «القط»، القصة التي قرأتها وأنا صبية وعلقت في ذاكرتي. ربما باتت الآن تذكّرني بالألم الذي فجأة يحول أنظارنا نحو المعنى، معنى أن نكون في هذا العالم وأن يكون الألم رفيق كل الأسئلة. قرأت مرة لشاعر إسباني اسمه أنطونيو بوركيا شذرة تقول: «الألم لا يتبعنا، إنه يسير في المقدّمة». شعرت عندها أنه الإلهام الحقيقي لنتابع السير وتذكّرت قصتك.

في القصة يذهب البطل إلى سميرة، ولكنه يسأل نفسه على الطريق، هل يذهب إليها لأنه ليس هناك مكان آخر يذهب إليه؟ هل هو الفراغ؟ ربما كانت وطأة تلك الأسئلة أخفّ، وكان إحساسه بالتفوق قد بدأ يتلاشى حين شاهد القط، ولاحظ أنه لا يتحرك. يجلس في زاوية في الزقاق ولا يحرك ساكناً. حين اقترب منه رأى ساقيْه مهروستين بالدم، فراوده سؤال لم يفارقه: من فعل ذلك بالقط؟ ذهب إلى سميرة لكنّ هذا السؤال لم يفارقه أبداً. ربما دهست سيارة مسرعة ساقَي القط وهو يقطع الشارع. لكن قوة السؤال قد جعلته غير قادر على إكمال يومه كما اعتاد وتحولت زيارته لسميرة إلى جلسة أسئلة عن هذا القط. أقرأ القصة وأنا أتساءل معك بصوت عالٍ: كيف استطاع هذا المشهد أن يغطّي المشاهد الأخرى لأنه كان حقيقياً. هكذا يكون الألم من يقودنا إذاً لنتساءل عن معنى الأشياء من حولنا بطريقة أخرى. هكذا أقلّب معنى هذه القصة وأنا أتأمّل أشياء تحدث معي، فأقول في داخلي: أي رسالة يحملها هذا الألم وأي سؤال مبطن داخله؟

عزيزي،
تأخذني قصصك الشعرية لحفر خندق في الروح، لأتذكر «القميص المسروق»، قصة أبي العبد الذي كان يودّ أن يحفر خندقاً قرب خيمته، لكي يسرق الطحين من وكالة الغوث، لكنه اكتشف أن العامل هناك قد تآمر هو والعامل الأميركي لبيع أكياس الطحين مقابل مبلغ من المال. فيقرر أن لا يشترك في اللعبة القذرة ويعود إلى خيمته باكياً لأنه لا يستطيع أن يشتري لابنه قميصاً جديداً. وهنا أيضاً يكون للألم صفحة أخرى في حياة أبي العبد كلاجئ في المخيم. شعرت وأنا أقرأها مرة ثانية أن حفر الخندق ليس فقط من أجل سرقة الطحين، إنما البحث عن حياة في مكان مظلم هو المخيم، لكنّ قصتك أيضاً تحفر في سؤال آخر: ماذا نفعل في مكان يحوّلنا إلى باحثين عن أنفسنا؟

لا أنسى أيضاً تلك القصة التي تحدثت عنها في رسالتي الأولى إليك «البومة في غرفة بعيدة»، هل تعلم أنني أخبّئ صورة البومة التي رسمتها وعلّقتها في غرفتي. قبل أربع سنوات كنت في مكان آخر وكانت البومة من شجرتك التي خبّأت تحتها الأسلحة لتذكرني بالخوف، ذلك الذي نظرت في عينيه لتقول له بأنّك ستتابع الطريق رغماً عنه. وفلسطين اليوم ليست في مكان بعيد، هكذا أتلمّس صورتها في الأشياء الصغيرة التي كنت تقرأها بروحك، والمعاني الخفية التي كنت تلتقطها في طريقك إليها.

إنها ليست مناسبة أو طقساً أن أعيد زيارة قصصك في ذكرى موتك، فأنا أذهب إليك لألتقي بأشياء صادفتها في طفولتي، ودائماً تظهر مرة أخرى أثناء زيارتي لقصصك، فأكتب إليك من بيروت مدينتك الجميلة وأنا أفكر بقصتك «موت سرير رقم 12» حين تحوّل اسم محمد علي أكبر إلى سرير رقم 12. لكنه كان يصر على امتلاك اسمه الكامل، وكان يخبّئ قرب سريره صندوقاً كبيراً، كنت أتساءل وأنا أقرأ القصة ماذا يخبّئ في الصندوق؟ ربما ثروة كبيرة، لكن الأهم أن هناك قصة مختبئة داخل الصندوق وداخل حياته. هل نخفي داخل صناديق الروح قصصنا الشخصية؟ أسألك وأنا متأكدة أن داخل صندوق قصصك أسماء وحكايات وتواريخ وآلام بشر مرّوا دون أن نتبع أثرهم. أتذكر أنني حين كنت أقرأ إحدى روايات أبي، بكيت لأن هناك شخصية أعرفها جيداً لبطل ترك دفتر مذكّراته وهو يسرد كل ما حدث معه من قصص وتفاصيل وحوادث وذكريات، تخيّلت أن هذا الدفتر هو اسمه وصندوق حياته. أعطاه لأبي وحوّله أبي إلى رواية. لم أكن أعلم أن الرواية ستتغير هكذا، لكنني أحببت أن روح هذا الشخص كاسمه بقي موجوداً وكان اسمه أبو أحمد الزعتر في رواية أبي «الزعتر الأخير».

> إنها ليست مناسبة أو طقساً أن أعيد زيارة قصصك في ذكرى موتك، فأنا أذهب إليك لألتقي بأشياء صادفتها في طفولتي

عزيزي غسان،
سأقول لك شيئاً خاصاً لم أقله لأحد، الطريق من المخيم إلى بيروت، لا تشبه أي طريق، ربما كانت محفوفة بأسئلة كثيرة، أعبرها أحياناً حين لا أجيب عليها. وأحياناً أصطدم بها، فتخرج على شكل قلب يتسع لها. هنا تعاتبني الروح وهناك ترسم لي لوحة أخرى. ما زالت ألوانها مثل لوحة حصانك المعلق داخل البيت. لم أتعب أبداً من الذهاب المستمر مع شخصياتك الطفولية في كتابك «أطفال غسان كنفاني» إلى المخيّم، فهناك حكاية أخرى يكتبونها في الأزقة. شكراً غسان لأن طفولتي لا تزال تعرفك جيداً ولا تزال صديقاً أحدّثه كلما أردت ذلك.

(رانية سعد الله)

«ما تبقّى لكم»

روان الباشا

أنهيت للتوّ قراءتي لرواية «ما تبقّى لكم» لغسان كنفاني، ما إن فرغت من القراءة، حتى انتبهت إلى العلاقة التي نشأت مع شخصيات الرواية، شعرت بحضورهم، وحضور حامد وشقيقته معي في غرفتي الصغيرة.

حملت بعضاً مني وخرجت لمشاهدة بعض العروض التي اعتادت برشلونة، مكان إقامتي، أن تمنحها لقاطنيها وزوارها في ساحاتها العامة، وخاصة في ساحة الكاتدرال القابعة خلف منزلي، توقفت لمتابعة عرض تقدّمه فتاة تحمل طوقاً حديدياً، وترقص معه، كانت فتاة الطوق تدور معه معلّقة أطرافها فيه، متقلّبة بصحن مستدير يكاد أن يصطدم بالأرض، كان الجميع مذهولاً بأدائها، وحين أتت لحظة ارتطامها بالأرض، أخذ الجميع أنفاسه، لكنها بحركة بهلوانية وقفت منتصبة، معلنة براعتها وتفوّقها على الطوق.

فجأة انتبهت إلى أن حامد، بطل الرواية، يقف بين الجموع، وكنت أظن بأنه عاد إلى صفحات الرواية ليتابع حكايته، سمعت صوت أجراس الكاتدرال تقرع معلنة تمام الساعة، وخيّل إليّ أنّي أسمع صوت ساعة حامد في داخلي. هذا ما يستطيع غسان كنفاني أن يفعله بقارئه، إنه يغوص بك حتى يسكنك، فتغرق بين دفّتَي روايته وتشدّك شخصياته من يدك حتى تظن أنك أحدها، فيجعلك تغضب وتهدأ، تعلو وتهبط مع كل شخصية من شخصياته.

أنهت أجراس الكاتدرال عزفها لإعلان تمام الساعة، والراقصة أنهت لوحتها، فدخل الجميع في حمّى التصفيق إلا حامد ظل واقفاً زاهداً بالجميع، متأهّباً للوصول إلى الطرف الآخر من الصحراء، كان أمامي، رأيته يتفحص أعينهم بنظرات ثابتة، جميع من حضر كانت نظراته حائرة إلا هو، فقط هو من كان يعي تماماً إلى أين سيذهب.

في جانب آخر من الساحة، انتبهت إلى غسان كنفاني يقف أيضاً ويشاهد ما الذي يحصل. اقتربت منه، فأخبرني كم كان حامد تائهاً في عتمة السماء وأحشاء الصحراء، حين كتبه، كم كان رغم تيهه في المكان، يمتلك الثبات في موقفه والإصرار من أجل ما عزم عليه؛ قاطع الحديث شاب ثلاثيني ذو لحية شقراء وعينين زرقاوين بسؤاله، هل تتكلمين الإنكليزية؟ أجبته بنعم، ثم سأل هل أنت من برشلونة؟ أجبته: أنا أعيش هنا، في هذا الحي، لكني لست من هنا. هل ضللتَ طريقك؟ أخبرني بأنه يحتاج إلى من يدلّه أين تقع ساحة كاتالونيا، أجبته ثم سألته، من أين أنت؟ فأجابني، لا يمكنك أن تحزري من أين، أنا من دولة في الطرف الآخر للبحر المتوسط محشوة بين صحراء ونهر وبحر، فيها أقدم مدن العالم على الإطلاق، صغيرة وخضراء نزرع فيها الزيتون والبرتقال، ونصنع فيها أنواعاً شهية من الحلويات وأهم طبق نقدمه هو الفلافل، هل عرفت اسمها؟

عرفتُ من صيغة سؤاله بأني أمام عدوّي، وأن معركة ما ستبدأ الآن، فتأهّبت لها ورسمت ابتسامة ساخرة وأجبته بنبرة العارف المتحدّي، إنها فلسطين، وابتسامتي الساخرة ونظرتي المتكبرة أحاطتا به فارتبك وانتفض قائلاً: لا، ليست فلسطين، أنت لا تعرفين التاريخ، كم أنت جاهلة، إنها إسرائيل. عاد حامد وظهر من جديد، رأيته يطرحه أرضاً ويثبت جسده ليحشر نصله في خاصرته، كما فعل بالجندي الإسرائيلي الذي ظهر له في غياهب الصحراء داخل صفحات الرواية.

عادت الأجراس تقرع مجدداً، وسمعت حامد يقول: «إنها قصة مسافة ليس غير، وربما زمن أيضاً»، تدفق الكلام من فمي، هذه التي تحدثت عنها، اسمها فلسطين، ولا يمكن أن تعرفها أكثر مني، إنها بلدي وموطني، يا لوقاحتكم، تسرقون البلاد، وتشبعون الناس برواياتكم وادعاءاتكم الكاذبة. بلدك هذه التي تسمّيها إسرائيل لا يتجاوز عمرها الـ 75 عاماً، أمّا فلسطين، أمّا الحقيقة، فهي من قدم التاريخ، أقدم مدينة في التاريخ اسمها أريحا وتقع في فلسطين.

كانت نظراتي حادة وصوتي ثابتاً، اقترب حامد مني، وهمس هواجسه في أذني «الأمور هنا نسبية تماماً وهي لمصلحتي أيضاً وهذا شيء غريب، فقبل دقائق فقط، كان كل شيء في هذا الكون ضدّي تماماً، وكانت الأمور كلها في غزة والأردن تعمل في غير مصلحتي وكنت أقف هنا تماماً في رقعة محاطة بالخسائر من كل جانب».

تجمّد الرجل في مكانه، وبان في عينيه التيه، لقد صعقته إجابتي فأدرك أنه في حضرة جيش من الغضب، فعرف مدى خسارته وتسلّق وجهه الذعر، كجنديّ وحيد وجد نفسه أمام جيش عدوّه عارياً.

عادت الأجراس تقرع فرأيت مريم، أخت حامد، تقوم بغرز نصلها بالرجل، كما غرزته في أحشاء زكريا لتسكت ضجيجه وتثأر لحامد الذي ابتلعته الصحراء مع الجندي الإسرائيلي، تحوّلت أنظار الجموع نحوي ونحو الإسرائيلي الذي انهار أمام نظراتنا أنا ومريم. فتقدّمت مني حسناء إسبانية، وسألتني، ما باله، فأجبتها، لا شيء، هذا ما تبقّى لكم.

الأخبار
al-akhbar
السبت 16 تموز 2022 العدد 4679

صورة وخبر

بعد انقطاع عامَيْن بسبب جائحة كورونا، عادت أصوات الغناء والموسيقى لتصدح في «مهرجان قرطاج الدولي»، أوّل من أمس الخميس في افتتاح الدورة السادسة والخمسين من الحدث الفنّي التونسي العريق. البداية على المسرح الأثري كانت مع عرض «عشّاق الدنيا» للمخرج عبد الحميد بوشناق الذي حوّل مسلسله التلفزيوني الرمضاني «النوبة» إلى عرض مسرحي يمزج بين فنون الغناء والرقص والموسيقى الشعبية. بأسلوب كوميدي، يرصد بوشناق ظاهرة يُطلق عليها التونسيون اسم «الربوخ»، وتعني حفلات الأعراس في الأحياء الشعبية التي تحييها الفرق الشعبية. شارك في «عشّاق الدنيا» المطرب لطفي بوشناق، والد المخرج، وأدّى أغنيتيه الشعبيتين «كيف شبحت خيالك» و«مازال صغير» كما أمتع الجمهور بمواويله، إلى جانب الفنان الشعبي سمير الوصيف الذي قدّم مجموعة من أشهر أغانيه، فيما أدّى الفنانون الشعبيون صالح الفريط والتليلي القفصي وهشام سلام باقة من أعمالهم، كما شارك مغني الراب كافون والمطرب عبد الوهاب الحناشي في الحفلة. علماً بأنّه قبل إزاحة الستار عن نسخة 2022 المستمرة لغاية 20 آب (أغسطس) المقبل، كرّم المهرجان لاعبة التنس التونسية، أنس جابر، بعد تألّقها في بطولة «ويمبلدون» هذا الشهر، لتصبح أوّل لاعبة عربية وأفريقية تبلغ نهائي إحدى البطولات الدولية الكبرى. (فتحي بلعيد ـ أ ف ب)

المفكرة

مسابقة «الغدير»: إعلان نتائج

■ برعاية وحضور نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ علي الخطيب (الصورة)، يُنظّم «مركز مشارق للبحوث والدراسات الفكرية المعاصرة»، بعد غدٍ الإثنين احتفالاً في «مركز الإمام الخميني الثقافي» (طريق المطار) بعنوان «غديرية بيروت ـ 2022 »، وذلك لإعلان نتائج مسابقة الغدير البحثية. يتضمن البرنامج كلمة الباحثين يلقيها عبد الأمير زاهد، وأخرى لـ «مركز مشارق» يلقيها رئيسه محمد شقير، بالإضافة إلى كلمة راعي الاحتفال الشيخ علي الخطيب. يلي الكلمات تكريم للأدباء والباحثين اللبنانيين: جورج شكور وسليمان كتاني وميشال كعدي، ولكلّ المشاركين في المسابقة وأنشطة المركز الثقافية، على أن يتولّى خضر نبها مهمّة التقديم.

«غديرية بيروت ـ 2022 »: بعد غدٍ الإثنين ـ س: 17:00 ـ «مركز الإمام الخميني الثقافي» (طريق المطار ـ بيروت). للاستعلام: 71/526075

تحية لمحمد منير

■ يواصل الفنان اللبناني زياد سحاب الحفلات الصيفية التي يحييها تكريماً لأصوات خالدة من الزمن الجميل. غداً الأحد، ستكون سهرة NOW Beirut (الأشرفية) مخصّصة للفنان المصري محمد منير (الصورة). يشتهر الـ «كينغ» بموسيقاه العربية المزوجة بالجاز وبالسلّم الخماسي النوبي، فضلاً عن طريقته المميزة بالأداء ولوكاته اللافتة. في السهرة المرتقبة، سيغنّي زياد ويعزف على عوده، على أن ترافقه فرقة موسيقية مؤلفة من العازفين: رمزي بو كامل (كيبورد)، خليل البابا (كمنجة) وكميل بو مرعي (درامز). يشمل الريبيرتوار أغاني معروفة من قديم منير وجديده، نذكر منها: «أنا قلبي مساكن شعبية»، «يا أبو الطاقية»، «أمانة يا بحر»، «علّموني»، «شبابيك»، «لفوا بينا»، «أشكي لمين»، «علّي صوتك»، «حارة السقايين»، «إيه يا بلاد يا غريبة»، «يا لالي»، «الليلة يا سمرا»، «نعناع الجنينة»، «واه يا اسمراني» وغيرها.

حفلة تكريمية لمحمد منير: غداً الأحد ـ س:21:00 ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 01/211122

«روماشكا»... من روسيا إلى لبنان

■ اليوم السبت، يحتفل بيوم العائلة والمحبة والوفاء. في هذه المناسبة، ينظّم «البيت الروسي في بيروت» مهرجاناً في وسط العاصمة بعنوان «روماشكا». يتميّز الحدث بجو احتفالي مستوحى من التقاليد الروسية التي تقدّس الروابط العائلية. هكذا، ستتمكّن العائلات اللبنانية المشاركة من التقاط الصور بالملابس الشعبية الروسية، فيما سيساعد مواطنون من الجالية الروسية الشباب اللبناني في تزيين المنطقة المخصّصة لصور «روماشكا». كما سيعدّ صانعو الحلوى فطائر مع حشوات مختلفة وكعك وحلويات لمعرض المخبوزات الروسية. ويتضمّن المهرجان كذلك حملة «شجرة عائلتي» وألعاب أوريغامي. أما الأطفال، فسيخصص لهم «البيت الروسي» ألعاباً مسلية وورش عمل من إعداد موظفيه ومواطنين روس في لبنان. وفي النهاية، سيأخذ الضيوف معهم تذكاراً صغيراً، عبارة عن علم عليه رمز المهرجان.

مهرجان «روماشكا»: اليوم السبت ـ «البيت الروسي» (فردان ـ شارع رشيد كرامي/ بيروت). للاستعلام: 01/790212

حنان منير... تحكي للأطفال

■ تُوقع الروائية والمرشدة الاجتماعية حنان خالد منير (الصورة) ألبوم حكايات جديد للأطفال، في 21 تموز (يوليو) في مبنى «بلدية زوق مكايل». يتضمّن العمل الجديد ثلاث حكايات باللغة الفرنسية، هي: Histoire d’une poterie، وTina et l’horloge، وLe papillon et le vent. تحتوي جميع هذه القصص على عبرة ورسالة إيجابية للأطفال حول مواجهة الحياة وأهمية دور الأهل وضرورة تنظيم الوقت لتحقيق النجاح. ستقرأ الكاتبة خلال النشاط إحدى الحكايات من الألبوم الجديد، كما ستُقيم أنشطة عدة للصغار المشاركين.

احتفال توقيع حكايات للأطفال: الخميس 21 تموز ـ س: 18:30 ـ «بلدية زوق مكايل» (قضاء كسروان).

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الوانك
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 16 تموز 2022
العدد 4679 السنة الخامسة عشرة
Samedi 16 Juillet 2022 nº 4679 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

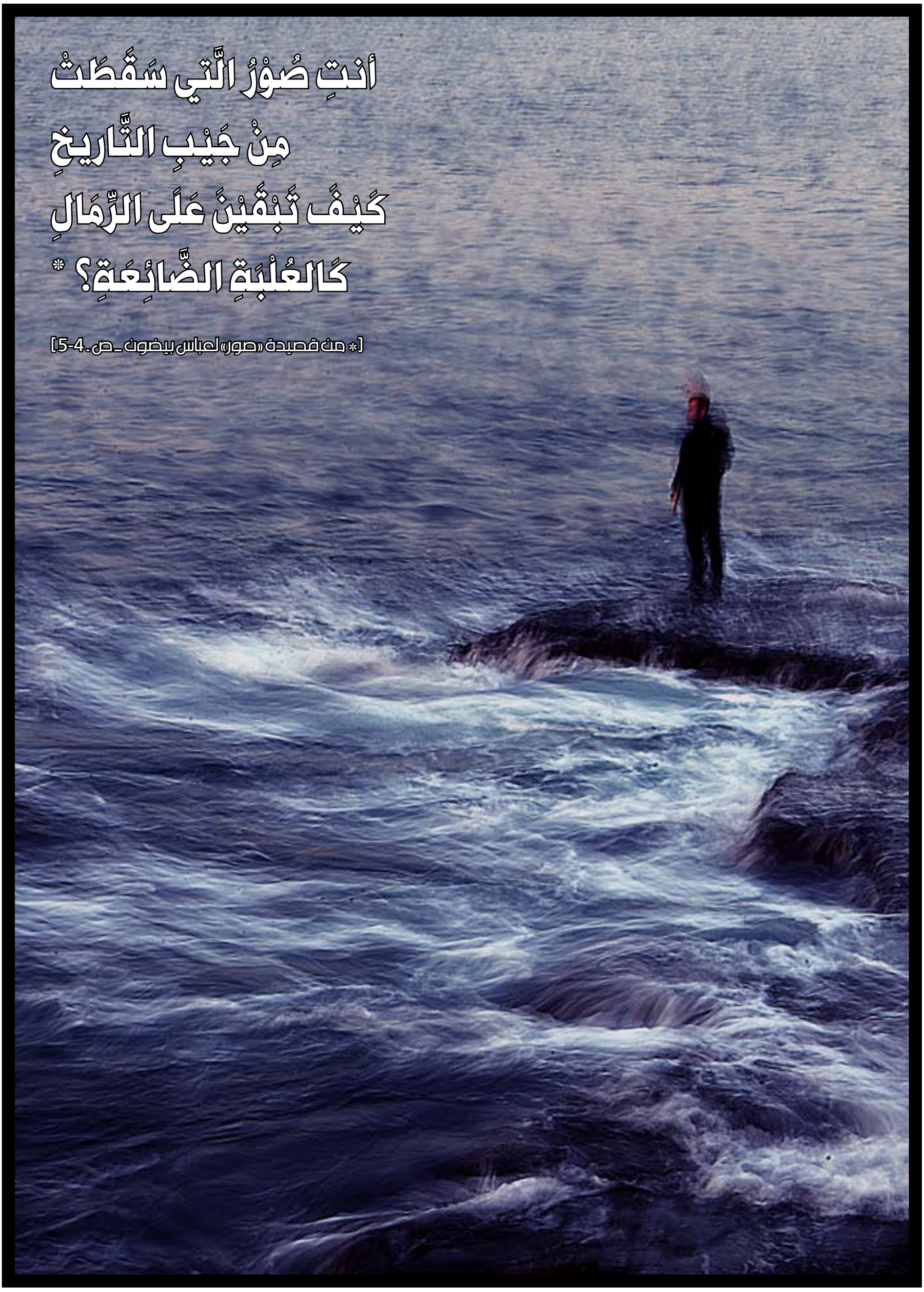

[* من قصيدة «صور» لعباس بيضون ـ ص. 4-5]

(هيثم الموسوي)

ملف

شذرات ونصوص تُضيء على الوجه الآخر للتشكيلي السوري الرائد

فاتح المدرّس... «كافكا الجبال» مطلّاً على فراغ الكون

نعرف فاتح المدرّس (1922- 1999)، التشكيلي السوري الرائد. لكن ماذا عن فاتح المدرّس الآخر؟ نقصد تلك السيرة الأدبية الملتبسة التي كان يوثّقها بعيداً عن مشغله التشكيلي وبقين في الظلّ. بالمقارنة مع حضوره كرسّام متفرّد؟ سنتنبه إلى أنّ اللون كان يتسرّب من اللوحة إلى الأوراق على هيئة شذرات ونصوص وأفكار يعلّقها على جدار مرسمه بمايشبه «حكمة اليوم»، قبل أن تضيع هذه الأوراق في فوضى المكان المزدحم، أو تتسلّل إلى دفاتره بوصفها مواد أوليّة للوحة أو قصيدة. في مناسبة مئوية ولادته، نستعيده اليوم شاعراً وفيلسوفاً بما تبقّى من أوراقه. ذلك أن مذكراته التي لم تنشر إلى اليوم، بقيت حبيسة أدراجه، على الأرجح بسبب حجم المكاشفة والسخط والخشونة التي تنطوي عليها. وفقاً لإشارة غامضة من رفيقة دربه الراحلة شكران الإمام، وهو ما جعلها تتردّد في نشرها أثناء حياتها. اللعنة ستطارد أيضاً مخطوط نصوصه الأخيرة، التي فقدها ناشر سوري بعدما سلّمها إلى شاعر كي يشرف على تحريرها لكنها اختفت بين أوراقه بعدما توفي فجأة. سنقتفي هنا أثر ما تجامعت أوراقه المبعثرة، ورسائله الشخصية، وحواراته، بالإضافة إلى مختارات خاطفة من كتابين شعريين له، هما: «القمر الشرقي يسطع على شاطئ الغرب» المنشور باللغتين العربية والفرنسية (1962) بمشاركة الشاعر والمسرحي شريف خزندار، و«الزمن الشيء» (1984) بمشاركة حسين راجي. تشير خالدة سعيد في كتابها «يوتوبيا المدينة المتشظّية» إلى أن أول قصيدة نشرها فاتح المدرّس تعود إلى منتصف الأربعينيات في مجلة «القيثارة» الطليعية التي كانت تصدر في مدينة اللاذقية. كما تنوّه إلى ارتباطه الفكري بالسريالية التي بشّر بها الشاعر أورخان ميسّر أولاً. ثم تتساءل بدهشة حول تجربته مع شريف خزندار بقولها: «من سيحتضن هذا الكتاب الغريب الذي يخرج عن التيار السائد الجارف، من سيهلّل لما فيه من جنون جميل؟». على المقلب الآخر سيحضر فاتح المدرّس ككاتب قصة من طرازٍ خاص في كتابه «عود النعنع» الذي استعاد فيه ذاكرته القروية الأولى في الشمال السوري. وكان تلك الذاكرة الفجائعية هي المادة الخام لكل ما رسمه لاحقاً بخصوص وجوه الفلاحات والأمهات المسربلات بالحزن والشقاء، وبساتين أشجار الزيتون، والطفولة المقهورة. سنلحظ في قصصه الخمس سطوع اللون بين السطور مثل «ارتفع الأفق الشرقي كأنه من زجاج رصاصي». و«الأرض حمراء كالتنور». و«طفا ثوبها الأحمر بنقاط بيضاء». و«انتشلها من الماء ووجد في يدها عود ما من النعنع». و«تراب آخذ من الدم لونه». و«ظلمات كفر جنّة الزرقاء». «كفر جنق» القرية التي سيخلّدها في إحدى أشهر لوحاته، مستعيداً رائحة التراب، وغياب الأب الذي قُتل على مرأى من عيني الابن. والكوابيس التي ستلاحق «كافكا الجبال»، في رحلته المضنية بين الدروب، واصفاً بمهارة عذابات الإنسان والبطش الذي يثقل كاهل الأفراد المهمشين. فهو عاش طفولة شقية محرومة، متنقلاً مع أمه الكردية في قرى الشمال السوري، وقد سلبه أعمامه حقه في الميراث الكبير، بعدما قتلوا والده خشية انتقال الثروة إلى أخواله. وستشهد مئويته الأولى صدور النسخة الإنكليزية من كتاب «حوار فاتح- أدونيس: الحدس والعقل» (دار كاف بوكس ـ ترجمة رولا يعلبكي). هنا يحاول أدونيس جذب فاتح المدرس إلى «مملكة الكلمات» في حوار جدلي يسعى إلى ردم المسافة بين عقل الشاعر وحدس الرسّام في اشتباك معرفي حار. بالإضافة إلى نصوص موازية كتبها الشاعر السوري جولان حاجي خصيصاً لهذه الطبعة، والناقدة الفنية أميرة أتون. كان فاتح المدرّس أبى أن يعيش قرناً آخر من العذابات، فغاب بأفول القرن، كي لا يشهد أتام الكوكب في القرن الحادي والعشرين. في هذا الملف، نستعيد بعضاً من أوراق الشاعر والفيلسوف، ونتفاً من رسائله الشخصية، وشذراته المجهولة التي توزعتها مخطوطات مفقودة، لم يبقَ منها إلا بعض الإشارات هنا وهناك

تقديم واختيار **خليل صويلح**

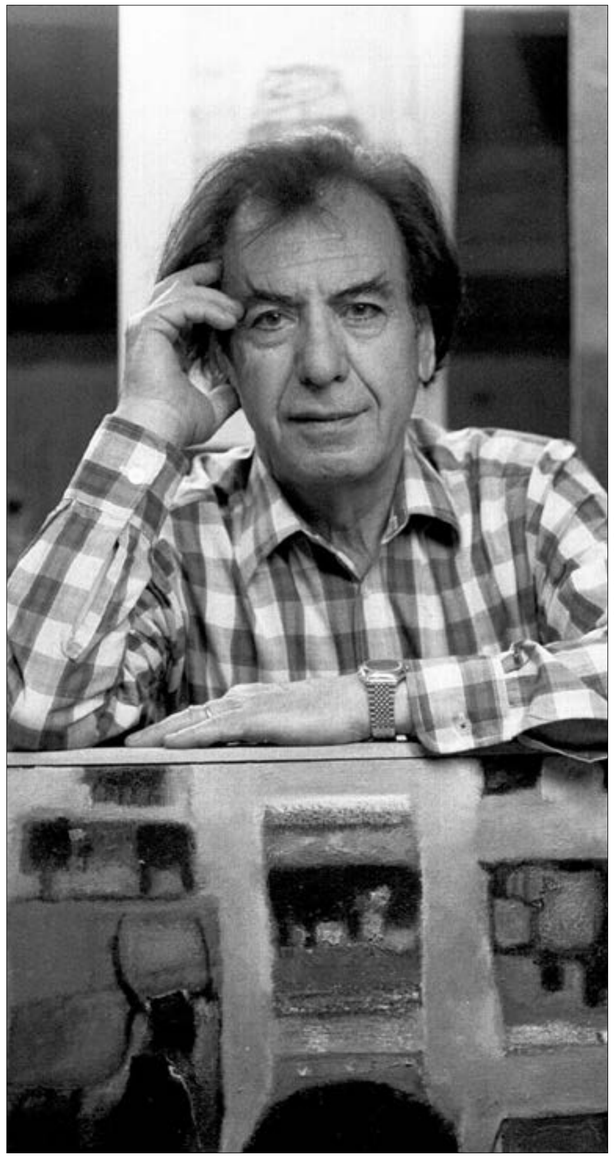

ستشهد مئويته الأولى صدور النسخة الإنكليزية من كتاب «حوار فاتح- أدونيس: الحدس والعقل»

شذرات

هذا العالم تأكله جرذان الكومبيوتر
قل لي هل يلد العقل جرذاً؟

■■■

الليلة كتبت اسمك على أرض غرفتي،
ومضيت أتسلّق الجدار ماشياً
كما لو أنّ هذا الكوكب بلا أحذية.

■■■

ماذا سنفعل لو وقفنا جميعاً،
تشكيليين، وشعراء، وموسيقيين،
أمام مقبرة جماعية تحوي آلاف
جثث البشر الذين قتلوا رشاً ودراكاً
أمام بعضهم بعضاً؟ هل سنرسم
زهرة في إناء؟ هل نرسم حبيبين
في حالة عناق؟ هل سنرسم السماء
الزرقاء الرائعة؟

■■■

رسمتُ كما تمشي السلحفاة المائية
على الطمي بإصبعين، ثم رسمت
سمكة كما أراها في النهر، كنتُ أرسم
رائحتها، رائحة النهر الجبلي البرّاق
تحت أشعة الشمس، عند السادسة
صباحاً.

■■■

إننا نعاني من فيروس الغضب
الجماعي الصامت الذي لا يسمح
بتحريك عضلة واحدة من هذا الوجه
الذي بحجم التابوت الإنساني
الضخم.

■■■

إن آخر ما يموت في غابة الدهشة
هو اللون

■■■

المطر لا يهطل على الفقراء!

■■■

أنا تلميذ صغير يدرس بحزن جمال
أرضه، وإنسان أرضه، وكل ما يقال
عني هو هراء

■■■

إذا سيطر الغباء على العالم تحلّ
كارثة كبيرة، فالمذابح المنتشرة هنا
وهناك في أرجاء العالم، يقف وراءها
رجال لا يملكون ذكاء إطلاقاً... لا
ذكاء في القتل

■■■

هي دائماً ملثّمة، أراها أحياناً بين
صفصاف النهر، حتى إذا ركضت في
برية تموز تصبح شفافة وتغيب.
وكلما عصرت الرياح هذا القلب
اسمع صوتها من الداخل.
لن أنساها إنها تشبه رغيف خبز لا
ينتهي مهما قضمت منه!

■■■

ليت يدي تستطيع أن تلمس قلبك
إذن لدارت بي المجرّة
ووقعت على وجهي
يبدو لي أنه لم يبقَ منك
إلا صورة الهوية

■■■

إن احترق القلب
فليكن بلا خطايا

■■■

حبيبتي بلا أمتعة
في يدها أس من جليد
تذوب هي أيضاً
ما أكثر الأمطار
والطائر؟
الطائر قد مضى في السماء

■■■

اصنع شمساً
جميل أن تكون لك شمسك
تتمتع بها مع من تحب
دون أن يراها الآخرون

■■■

في كل ليلة
أمشي إلى أعلى
وأعبر منحدر التل
أنت أيضاً أغرس صليبك... هناك

■■■

إنني أبحث عن ذكاء نبيل يجعل
الحياة ممتعة

■■■

أصدقاء الرماد
جاؤوا البارحة ليصحبوني
لنتحدث طويلاً في الطريق
لم يرغموني
لا زلت أسمع صفير القطار
إنه لا يكفّ عن الاهتزاز
ما أصعب السفر لوحدك
على درب التبانة، قلت.

■■■

الإنسان جبل كآبة، تستطيع فأرة
صغيرة أن تخلخله وتحوله إلى
أنقاض!

■■■

غدت المخيلة الطعام الوحيد للعقل،
الصورة حيوان والكلمة تجريد

■■■

بلا حبّ تنام أشجاري
انظروا
أورقتْ مساميرٌ وحروفاً.

■■■

المحار صحون العشاق الموتى

■■■

البدء من الصفر يعني شيئاً واحداً،
إلقاء جملة المعرفة وأحمالها في
سلة القمامة.

■■■

ماذا نستطيع أن نفعل أمام حفرة
تحوي آلاف جثث الآدميين الذين
قتلوا رشاً ودراكاً أمام بعضهم
بعضاً؟

■■■

إنَّ ماضي البشرية حتى هذه اللحظة
لا يُشرّف أي حيوان، حتى الجرذ لا
يشرّفه ماضي الإنسان

■■■

في قلب كل ملاك قاتل محترف

■■■

صوت العاصفة المدمّرة، أجمل أنواع
الموسيقى

■■■

أقسى أنواع العقاب، الحرمان من
جمال الطبيعة

■■■

الخلود هو أن تستطيع صُنع الزمن
والتحكّم فيه

■■■

مرّ هولاكو من هنا، تبسّم ثم ولّى
الأدبار

■■■

انظر الآن!
كيف يهتزّ الخزي كبرق

■■■

عاجلاً أم آجلاً
سيرتفع حدّ الشفرة
ثلاثة أمتار
وستهوي الشفرة بتناقض آخر

■■■

الكلام من حق الكهنة
الحيوان لا يحق له الكلام.
إذاً، أنا حيوان

■■■

يقف العقل بعدالته الجميلة حزيناً
أمام صندوق الرشاوى في الذاكرة

■■■

لا يزالوا يبحثون عن سكين وملح!

■■■

الحقيقة تُصنع بأنفاس الأنبياء
وبأيدي القتلة

■■■

رأيت جنرالاً يلتهم جثة، ولم يبق
منها في صحنه سوى عينها فقلت
له مشيراً إلى الصحن: وأين هي
العين الأخرى أيها الجنرال؟
أجابني ببراءة وهو يمسح فمه بكم
قميصه: كل الحقائق بعين واحدة!

■■■

الشعر أرقى أنواع النشاط الفكري،
إنه وثيقة هامة تشير إلى إنسانيتنا
لا إلى حيوانيّتنا، هناك فنون
حيوانية، وأخرى إنسانية، الرسم
فن حيواني لأنه يعتمد الصورة
الواحدة، أما الشعر فيعتمد آلاف
الصور

■■■

في وسخ الأرض اكتشفُ مغزى
ارتفاع السماء

■■■

هل عاد إليك الزمن، مرة، كسرب من
الكلاب الضالة، أو لنقل كضبع فتيّ
يحاور رجلاً أعزل في منتصف ليلة
شتائية؟

■■■

لا نريد أشياء رجال ينصبون
أنفسهم أصناماً في الحرم المقدس،
كي نعبدهم

■■■

الإنسان أعظم مخرّب للأرض، وهذا
ما يحزنني

■■■

رجل واحد يمكن أن يقود أمة إلى
الجحيم

■■■

الضياء خيوط نسيج
منديل من الشمس
سقط على الأخضر
أرفع المنديل
انظر، زهرة

■■■

من الصفر يولد رائع الواحد

■■■

كنت أسمع أغانيهم على حوافي
المجرّات

■■■

هذا المغني قاطع طريق يرسم الجبال
بصوته

■■■

أيتها الحرية لك في لحمي نشيد
حزين آخر.

■■■

إني أعيش على برزخين، القدم
اليمنى على برزخ، والثانية على
برزخ ثانٍ، أو مرفوعة ككلب يبول
على حجر.

■■■

اللون الأصفر؟
لعله الطفلة اليتيمة التي عثرت
عليها الشمس بين حقول الزعفران.

■■■

السعداء هم الذين يغادرون هذا
العالم القذر بطلقة رصاصة

■■■

كل ما أبذره في هذه الأرض اليباب
التي عاشها المعرّي والسيّاب، لا تنبت
إلا الأشواك الزرقاء المرّة، رغم أن أكثر
مستاجري هذا الكوكب هم حفاة.

■■■

هل هناك أغبى من كلمة «العولمة»؟
كأن هذا الاكتشاف لم يكن متداولاً
في الحروب الصليبية!

■■■

الألوان التي نستعملها ونطلق عليها
أسماء أزرق، أصفر، أخضر، أسود،
أبيض، إلى آخره، لا تستعملها
الطبيعة إلى في حال عقد قران بين
زهرة وزهرة، بين ثور وبقرة!

■■■

لست وحيداً، لأنه يوجد في ذهني
عالم موازٍ للعالم الذي نعيش فيه

■■■

لم أحترم العقل في حياتي، اعتبره
مجمع قاذورات، إنني أعتمد على
الحدس.

■■■

عالم الكلمة واسع، أما الشكل
البصري فهو تعس.

■■■

خنزير يسند الجدار

■■■

حيرة يمضغها النسيان، كما يمضغ
الخريف أوراق شجر اللوز

■■■

لا تحزن.
كلُّ الملائكة بلا أحذية... بلا ظلّ
على كلّ حال، يمكنك أن تمرّ
أنت أيضاً بلا ظلّ

■■■

إليكِ كبدُ هذا الملاك

■■■

هارب من مدخنة إلى مدخنة

■■■

فُكّ قيدي.
فكّه بخاتمك، يا سليمان الملك،
أنا مغلوك منذ ألف ألف عام.

شهادات في التجربة

عالم فجائعي

سعيد حورانية *

عالم فاتح المدرّس القصصي، كعالم كافكا، ماساوي ومظلم، ولكن كافكا يصل بنا إلى درجة اللاجدوى، بينما تحس بأن فاتح المدرّس، رغم كون الشرّ يطحن الخير في كل قصصه، ورغم أن أبطال أربعة من خمس قصص، ينتهون بالموت المجاني، نتيجة الظلم الاجتماعي وجبروت الطبيعة، فإن القارئ يحس بموجة عارمة من السخط والحقد، تتجاوز مرحلة التأثر إلى الفعل، فاللامعقولية عند كافكا يحل محلها عند فاتح آلية العلاقات الطبقية-الإقطاعية الشرقية الاستبدادية في القصص، فهي تضعك أمام العدو وجهاً لوجه. ورغم هزيمة الأبطال المحتومة، فهي هزيمة لا تضع القارئ على حافة اليأس، وإنما على طريق التغيير، فلا معنى هنا لاتهام فاتح بالتشاؤم، فمنطق الموت والمأساة في الفن يتجاوز اليومي ليصبح الرمز للنضال ضد عذابات الإنسان وضد مسبّبيها.

وإمعاناً في شحن المأساة بأكثر أعماقها حدة، يستخدم فاتح الطفولة المقتولة كذبح للبراءة في نظام لا إنساني مطلق الاستغلال. قصص فاتح كأفضل لوحاته، وبعضها كـ «عود النعنع» و«رشو آغا»، من أفضل ما كتب أدباء العربية على الإطلاق.

* كاتب سوري

صيّاد نور

نزيه أبو عفش *

الذين يعرفون فاتح المدرس يعرفون أنه، لشدة ما قدّس الحياة، أمّلته الحياة. ولشدّة ما تألم، تألم كمسيح، لكن دون أن يأمل بيوم ثالث يقوم فيه، تألم لحساب أن تخلد قيمة الجمال ويعلو شأن الروح، لأنه بفطرة الحكيم البدائي، استطاع أن يميّز بين العدالة وبين الطنين الزائف للشعار الخبيث، وبالتالي عرف كيف يعثر على إجابات الأسئلة الكبيرة، من دون لجوء إلى القواميس.

فاتح المدرس ليس مسيحاً ليمشي فوق الماء... إنه قادر في لحظة قنوط ما، أن يغرق في الصخر.

يقهر الليل بالتمائم ويخضع الخوف بالأغاني، ولكن.. دونما ادعاء، دونما أوهام بطولة، دونما جلبة قبل كل شيء. شاعر إبليس، مشعوذ خفيف العين واليد والعقل كمحطمي خزائن البنوك... لكنه لا يسطو - من أنقاض الدنيا - إلاّ على النور.. صياد نور.. ومشعوذ.. إنما لا يرقّص السعادين أو الأفاعي، ولا يخرج من سلته أرانب أو حماماً أو مناديل حمراء للعاشقات.

* شاعر ورسّام سوري

شمس في حفرة

جولان حاجي *

مرسم فاتح المدرس، في ساحة النجمة الدمشقية، كهفٌ مكتظّ بالأزمنة، تسكن معه أرواح أطفال لم يُولدوا قطّ، أو دفنوا أحياء في أرحام أمهاتهم، أو ماتوا مثل ابنته هلفي التي انفجر قلبها، وأبقى حذاءها الصغير معلقاً إلى الجدار كالتعويذة. ينتشل من تحت ركام أوراقه مفكّرة. كتب أحدهم على إطارها: «لا يجوز لمن يحفر بئراً أن يحفر قبراً». (شمس الأئمة السَرَخْسيّ). هل سيخطر للرسّام أنّ «حفر البئر» كناية شعبية عن «فَضّ البكارة»؟ سيعثر لدى إمام الحنفيّة على صورة أخرى تتقاطع فيها المصائر. عُوقب السرخسي بالسجن داخل بئر معطّلة ذات أدراج، أمضى فيها كالمدفون حياً خمس عشرة سنة، محروماً من الكتب والضوء. وبرغم ذلك، أملى شروح كتابه الضخم «المبسوط» على تلامذته الذين كانوا يتحلّقون حول فم الحفرة، يدوّنون في قراطيسهم ما يلقّنهم إياه بالهتاف من الظلام تحت الأرض. كان زاد المحبوس ذاكرته. كانت غزارته نزالاً مع اليأس والظلم والنسيان. آلاف الصفحات عبر السنين. تداول الناس أن ربّه قد سخّر له جنياً في البئر يُعينه على التذكّر والتأليف، ففيهما عزاؤه الوحيد.

«مَن سجنني؟» يتساءل فاتح المدرس، ويجيب نفسه: «الذي يحاصرني مجهول».

■■■

رباعيات الشعر الياباني نبّهت فاتح المدرّس إلى ما يُسمّى «الأبعاد السحيقة لمجالات الإحساس». لعله صادف حكاية التلميذ الذي ألقى على باشو قصيدة هايكو كتبها أثناء تجوالهما في الحقول محفوفين بالياعاسيب: «يعسوب أحمر/ انْزعْ جناحيه/ يصرّ قرن فلفل». فأجابه المعلّم الناسك المترحّل: «مات اليعسوب. أهكذا تخلق الحياة؟ قرون الفلفل الأحمر/ ضعْ لها الأجنحة/ وانظرْ: اليعاسيب». وصاياه مليئة بالمفارقات، وإحداها: «تجنّبْ أسماءَ التفضيل تزدْ حبا للعالم وتقلّ رغبتك فيه».

■■■

«أين اختفت تلك الأغنيات؟»

يرفع فاتح المدرس المنفضة البرتقالية، علبة سجائر الحمرا الطويلة، القداحة البيضاء، الهاتف الأخضر. يزيح صورة غوغول، الشمعدان ذا الشموع الثلاث البيضاء الذائبة، عدداً من الرسائل والمحابر الفارغة، إناء الزهور الميتة. يقلب الأشرطة: نصرت فاتح علي خان، بول بغداديان، محمد رضا شجريان، وديع الصافي، عارف صاغ... ولا يجد زكي مورين.

«أين اختفت؟»

يجلس على كرسي الخيزران. لا يستطيع الآن أن يتذكّر أيّ زائر من زواره الكثيرين ترك له الشريط، وقد باغتتْ روحَهُ هذه الإشارة: الشبه الصريح بين وجهه ووجه المغنّي التركي. الحاجبان فاحمان طويلان أشعثان فوق مُقلتين مكحّلتين. نظرةٌ في بريقها مرحٌ الغريزة وأساها، تتوقّد باللذّة والألم معاً كما تلتمع العيون المتيقّظة للجنّ الذين يقطنون الآبار والمفترقات والخرائب. خفافاً مثله يتنقّلون من عالم إلى آخر، من سرّ إلى سرّ. في بحر الأخطاء المسمّى «الحياة»، يلازمه عالمٌ آخر، لصيقٌ به ويتوقُ إليه. لا ينتهي قلقُ المتنقّلين بين عالمين. يخترق فاتح الجدار تلو الجدار. يزيح أولاً جدار العقل، فيطلّ على فراغ الكون الشبيه برحم كبير. اعتقاده أنّ الملتقى الحقيقي لأعماله هو زمان ومكان آخران غير مرئيين.

* شاعر سوري

قصيدة

عباس بيضون: صور... لا نفارِقكِ كأمراءِ البَحْرِ

ليست «صور ــ قصيدة» احتفاء بمدينة يستدعي قول الشعر، إنه الشعر وقد تحوّل إلى مدينة، إلى حيّز، إلى اسطورة خاصة. وهي النصّ الطويل الذي كتبه الشاعر اللبناني عباس بيضون عام 1974 واعادت «دار النهضة العربية» (بيروت) اخيرانشره. كتابة تذوب فيها مرجعيات ثقافية وشعرية بعيدة تتصل بالشاعر الفرنسي سان جون بيرس وقبله الاميركي والت ويتمان، وتطفو على سطحها رغبات في تكوين ذاكرة شخصية واسطورية، خصوصاً مع مكان ينتمي اليه الشاعر شعرياً اكثر من الانتماء اليه بشروط تشارك الجغرافيا والجوار والافق والسياسي والمصلحي: تمثل «صور» التي كُتب قسمها الاول في مدينة بنت جبيل الجنوبية، النشيد المستحيل في شعر عباس بيضون، والعمل الملحمي الذي كبحت افقه الحرب الاهلية اللبنانية المتاهبة في ربيع نيسان المرّ عام 1975. كانت الحرب بمثابة الحدث الذي يُخرج الشاعر من نفسه ومن شعره بحيث تستحيل معها كتابة نشيد يعلو على الامكنة، والشاعر لا يستطيع الخروج من مطبخ بيته بسبب رصاص القنص، لم يُخرج عباس بيضون من صومه لسنوات ثلاث عن كتابة الشعر بعد «صور-قصيدة» إلا قراءته للشاعر اليوناني يانيس ريتسوس، القادر في وقت واحد على كتابة قصيدة عن يوميات المطبخ مثلاً ووصلها بضربة معلّم مع الاساطير الكبيرة التي يستلّها بيسر من الارث الميثولوجي الغني لبلاده. خرج عباس من نشيده في مجموعة «الوقت بجرعات كبيرة» في تمرين كامل على الشعر اليومي، والجزئي والتفصيلي، كأنه تمرين على نسيان «صور». كان الناس الذين قراوها واعجبوا بها قد صاروا خلفه. صار يتحول من كتاب إلى اخر، كأنّ كتبه تدل على ضيق صدره بالشعر، كان الشعر لا يلزمه باي مسؤولية تجاه صور وغيرها بل تجاه الشعر حصراً، إلا ان صور كانت تسكن اللاوعي الشعري عند بيضون، ليكتشف انها ستعود وتظهر في قصيدته المضادة «مدافن زجاجية» التي انتبهت الناقدة الكبيرة خالدة سعيد إلى انها قصيدة محو صور وتفكيكها وعرائها. بل إن المقطع الاخير «الخروج» من «صور-قصيدة» الذي اضافه الشاعر اليها لاحقاً هو بمثابة احتجاج على المكان وإعلان حب من موقع الخسارة كان بمثابة تمهيد لقطع الصلة ولخروج الشاعر على قصيدته وعلى الانتماء لمكان له شروط لا تتوافر عند الشاعر إلى الابد. اليوم وعلى مسافة نصف قرن، يبدو عباس بيضون متصالحاً مع النص الذي ولد عنوانه مصادفة، إذ إن الناشر حينها قدّم على الغلاف المفترض صور على القصيدة، ليكتشف الشاعر ان هذه الصيغة اقرب إلى رؤيته للشعر كحيّز يمكنه فيه ان يدني الاشياء فتقترب، او يضعها فتغترب. ننشر نص «صور-قصيدة» كاملاً في «كلمات»، نقف بذهول امام البحر فيها ينتزع من حناجرنا الوتر الفلاحي، نقترب منها كأم مسنّة لا تطرح علينا الاسئلة الكبرى، وإنما تحنو نحيها فحسب

تقديم **محمد ناصر الدين**

صُوَر

قـصـيـدة

عباس بيضون

البحر

مَنْ أنا حتّى أقفَ بينَ المُنشدين، صانِعي النّعال
الّذينَ جاؤوا على خيولٍ هزيلةٍ مِنَ الوعر، الحطّابين
الّذينَ خَنَقوا بالكِلسِ النّيرانَ الصّغيرة، صبيان
الفرّانين الّذينَ اشعلوا في الأحياءِ المُستديرةِ أكياسَ
القشّ والخَيش وحشرات الجُدران، الفلّاحين الّذين
حَمَلوا نساءَهُم وأطفالَهُمْ على أكتافِ الحَمير
المُسنّة وعَبَروا بها تحتَ بدرِ الحُقول وِيداناً
كالخُدوش الجافّة.
مَنْ أنا حتّى أتقدّمَ هؤلاء تَحْتَ القناطرِ الّتي تَحْني
المنازلَ مِنْ خواصِرِها المعقودةِ بحبالِ الغَسيل،
لِتبقى فُوّهةٌ ما للفضاءِ والنّجوم. هُنا أكتافُ
المَدينةِ وفِقراتُها، وعلى هذهِ الجُسور تتجعّدُ
أوراقُها الشّمسيّةُ، وتلتفُّ على ضِماداتِها وعُروقِها
المَقطوعة، وأسمالِها الحجَريّةِ الشّهباء، فتبدو تحتَ
قمرٍ لا تُراهُ ورديّةَ مَداخِلِ وَمَعدن. تلتمُّ على الآبار
والشُّقوقِ والأقواس. وتتحرّكُ كعينٍ ميتةٍ وفوهةٍ
مرؤسة، إذ ذاك، تهبطُ المدينةُ، فنتنبّهُ ظهرَها
الأحدبَ بأقدامٍ خفيفةٍ نحوَ ظهيرةٍ ضيّقة.
مَنْ أنا لأكلّمَكُم على الأحجارِ الّتي وُلدنا عليها
كالسّمالي، حينَ كانت المدينةُ ترفعُ رأسَها مِنَ
البَحر. تغذّينا بالشّمسِ والملح، وأكلنا على الرّاحات
أسْماكاً حيّة. وكانتِ المياهُ تتناولُنا مِنْ على
صُخورنا ونحنُ نتعلّمُ الكلماتِ والأفكار كلّ يوم.
كنّا رمليّين حينَ أوينا إلى الشُّطوطِ وتركنا أنفسَنا
لغاسِلي الرّمل، فَحَفّونا بالزّبد الذي اختمرَ في
نسيمِ اللّيل، وخَرَجنا مِنْ بُيُوضِنا تحتَ مَوجة.
مَرّت علينا ليلةٌ في مجرى العبيرِ البَحريّ، وليلةٌ
في ناحيةِ السّرو وأكوارِ الصّنوبَرِ تحتَ أوراقِ
الزّعفران حيثُ تمتدُّ مَراعي البَحر، ثُمّ شربنا مِنْ
دَمِ كبدِ الفَجر، ودمِ قلبِ اللّيل، فاعتكرتْ أعيُننا
كالسّواحِلِ، تبْقى المَدينةُ بلا أحضان، وتَتَقوّسُ
عِظامُها المُعبّرَة، بَيْنَما تَصْطكُّ مَبانيها الدّاخليّةُ
كبيوتِ الخَلَد، وَيَرتفعُ الهواءُ عنِ الغُرف.
تَبْقى الأوانِي عَلَى الرُّفُوفِ، والسّاعاتُ الكبيرةُ
مُعَلّقَةٌ عَلَى الجُدْران، الطّابِقُ عَلى بَيْرانِها، والأطفالُ
حَوْلَ البَرَكِ. تَتَحَرّكُ مِنَ الشّمالِ والجَنُوبِ الأشجارُ.
لكِنّنا بَيْنَ قَليلين، نَعْلَمُ أنّ الأحذيةَ مُلطّخةٌ جَنبَ
المَوقِدِ، والأوانِي مَدْبُوغَةٌ، وَالّذينَ عادُوا تَرَكوا الأنهارَ
الّتي بَصَقَتْها الأرضُ مَبْقُورَةً عَلى الطّريقِ، تَرَكوا
الرّمْمَ والسّراطينَ الحيّةَ تَحْتَ المعاطفِ المُبَقّعَة. فَلا
يُحاوِلُ أحدٌ أنْ يهزِمَهُمْ بعدَ أنْ طَارَتْ أصابِعُهُمْ
وأسْنانُهُم وثقْبُهُم المَطَر.
نَعْرِفُ بينَ قليلين أنّ النّاسَ لمْ يَتغيّروا لكنّهُم يُبَدّلُونَ
دفّةَ أحْلامِهم واللّيلُ لَيْسَ كافياً، أنّ هَذا الصّباحَ
المَزْجومَ كالوردةِ النّاشِفةِ ليسَ لَنا، والهواءُ الفُولاذيُّ
قاسٍ على البَصَرِ والشّعاع، أنّ الأفواهَ مُحَطّمَةٌ عَلَى
الوَسَائِدِ، والقُبَلَ مَقْصُوصَةٌ مِنْ خُدورِهَا، والوجوهَ
مَلْفُوحَةٌ بالبَرَدِ، أنّ الأعمارَ تتجمّدُ والنّاسَ يَبيعونَ
المُستقبلَ بثَمَنِ الموتِ الهَادِئ عَلى شُرفَةٍ، وأنّ الكلامَ
يحرّكُ النّسيمَ تَحْتَ المائدةِ كَموتٍ يَسْتَيْقِظُ.
تَمَدّدْنا عَلَى أحجارٍ طويلةٍ كالأخشابِ مَلْفُوفينَ
بالأشْرعَةِ. في حَجَرٍ خاصِنٍ بِئْنا مُتَعانِقَيْنِ
وَتَعَلّمْنا الحُبّ، وَعَلى طَبَقِ صَوّانِي جَاءَنا الحَظّ
وَتَناوَلْنا فَاكِهَتَنَا القَليلَةَ، لَكِنْ يَبْقَى لِلصّوانِ مَا
على الصّوان. تَجَلّلْنا بالبَرْقِ الهَابِطِ عَلى المَرَاعي
الصّخْرِيّةِ وَكبُرْنا تَحْتَ انْطِارِ اللّيلِ، وَكُنّا نَعرِفُ
أنّ أحْلامَ حَجَرِ الكِلْسِ وَحْدَهَا لا تُخْتَبَرِ، وَقَلْبَ
الصّوانِ وَحْدَهُ لا يَخْدَع.
بَيْنَ الحَجَرِ وَالمَاءِ تَرَقْرَقْنا كَفُولاذٍ مُتَبَلّور... وَكُنّا
نَرى دائِماً أخْلامَنا الّتي لا نُنْكِرُهَا ثُقْلَ.
وَنَبْكي عَلَى الضّفافِ
بِقَلْبٍ حَجَرٍ حَقِيقِيّ.

صُوَر

يا صُوَر... حينَ نَزَلْنَا إليكِ انتزَعَتِ مِنّا حَناجِرِنَا
الوَتَرَ الفَلّاحِيّ، وَهَا نَحْنُ بِالكَلِماتِ الّتي تَعَلّمْنَاهَا
مِنْكِ لا نَسْتَطيعُ أنْ نُصَيفَكِ.
لا نُصيفُكِ لأنّكِ مَا زِلْتِ تَبْحَثِينَ في جِلْدِكِ
عَنْ فَمِكِ المُنْدَمِل.
وَلِأنّكِ تَنْطِقينَ بِرَفِيرِ سَاحِنٍ
عَلَى وُجُوهِ مُخَاطِبِيكِ القَليلِينَ
لأنّكِ بِلا صَوْتٍ تَحكّينَ بِاسْتَلَهِ وَرَمْلَكِ
وَتُلْقِينَ بِلا تَجِيّةِ يَدَكِ
عَلَى شِمَالِ البَحْرِ

هَذَا هُوَ جَسَدُكِ يَضِيعُ وَلا مِصْبَاحَ عَلَى جِلْدِكِ
يَقْرَعُ فَوْقَ طُرُقِكِ الهَارِبَةِ
سَنَتَاكَلِينَ وَسَنَتَجَمّعُ حِجَارَتُكِ كُلَّ عَامٍ
بَعْدَ أنْ تُهْبِطَ أوْتَادُكِ سَتُصْبِحُ لَكِ كُلَّ عَامٍ
جُثَّةٌ
حَجَرِيَّةٌ
سَنَقعَينَ عِنْدَ البَحْرِ
بَيْنَمَا تُلَمّعُ مَطَابِخُكِ مِنْ بَعِيدٍ

لَقَدْ قَامَتْ خِصَاصٌ سَرِيعةٌ
تَحْتَ سُقُوفِكِ السّاقِطَة
لكنّ النّوافِذَ الّتي تَفْتَحُ في رِمّتِكِ
لا تَدْعُو المُنْتَزِعِينَ وَلا التّلاميذ.

رَأسُكِ بينَ كتبِكِ وَاكتافِكِ بِأنحَنِي
وَلَنْ تَسْتَطيعَ النّسْوَةُ المُنْتَظِرَاتُ تَحْتَ الأدْرَاجِ
وَفي الغُرَفِ العَالِيَة
قُدُومَ الأبناءِ والأزْوَاجِ المُتَحَلّفِينَ في الحَانَاتِ
لنْ تستطيعَ الكلابُ الجَائِعَةُ
وَلا أرضُكِ الّتي تَغْلي بالفِئْرَان
أنْ تَمْنَعَ طُرُقَكِ مِنَ السُّقُوطِ في الخَنَادِقِ
وَذَرّاتِ المِيَاه
وَالتّجوُّلِ في الأنْفَاقِ الدّاخِلِيّةِ
أنْفَاقاً حُرّةً
أنْ تَنْزَعَ النُّجومَ مِنْ عُيونِ النُّقُوبِ
وَعُيونِ الحَشَراتِ
وَتَفكَّ الشّوارِعَ
مِنْ عُقْدَةِ إبهامِكِ الضّيّقَة.

سَتَقْعِينَ إيّتُها الامُّ المُسِنّةُ
وَلَنْ تَقُومَ مَدينَةٌ بَعْدَ الآن
سَتَنْزِلينَ عَلَى الضّلاعِ كَالبِذْخَنَةِ الهَاوِيَةِ
وَتَرْقُدِينَ عَلَى الشّاطِئِ وَرَأسُكِ في الرِّمَالِ
كَكَلْبِ البَحْرِ

لَنْ يُكَلِّمَكِ أحَدٌ فَمَنْ يَحْدسُ أنّكِ تَتَكَلّمِينَ
وَسطَ نَسْمَتِكِ المُتَعَثّرَة
وَوَسطَ مَصابيحِ السّيّارَاتِ المُسَلّطَةِ عَلى خُدُودِكِ
مَنْ يَحْدِسُ أنّ حَرْفاً أصْغَرَ مِنْ جَناحِ دُبابَةٍ
يَنزِلُ مُغبرّاً بالبارودِ
وَسَطَ الرّصاصِ الّذي يَدُرُّ نوافِذَكِ
وَيَصْمُتُ في الدّم الّذي يُلَطّخُ الابْوَابَ
مَنْ يَحْدِسُ أنّ فَمَكِ الّذي ضَاعَ في جَوْفِكِ
كَخاتمٍ في بِئرٍ
يَنْطِقُ في عَاصِفَةٍ رَعْدِيّة
وَمَوْجَةٍ تَرْفَعُ السّواحِلَ
لَنْ يَكلّمَكِ أحَدٌ
وَلَنْ تَتَبَدّلَ مِياهُكِ بَعْدَ الآنَ
سَتَكونينَ في طَرَفِ العَالَمِ

(وائل قيسي)

وَسَيَرْجِعُ الجَمِيعُ قَبْلَكِ
الحَدَائِقُ الّتي تُرافِقُ البَحْرَ
لَنْ تَجْرُؤَ عَلَى اقْتِحَامِ أحْجَارِكِ السُّودِ
وَالطّيُورُ المُهَاجِرَةُ تَخْشَى أنْ تُعْتَقَلَ
في عُيونِكِ المُدَخّنَة
سَحَابَةُ أزْهَارِ اللّيْمُونِ الّتي تَصْحَبُ المُسَافِرِينَ
سَتَهْبِطُ عَلَى تُخُومِكِ القَرِيبَةِ
وَلَنْ يَصِلَ المُسَافِرُونَ
وَلَنْ تَتَبَدّلَ سَمَاؤُكِ

سَيَبْقَى لَكِ الهَوَاءُ الّذي يَتَلَكّأ
عِنْدَ مَدَاخِلِ الأزِقّةِ
يَقُودُ دَائِماً بالمِلْحِ وَالرّمل وَالذّبَابِ
يَنْزِفُ عَلَى الأوَانِي وَالسّواقِي وَالانْقَاضِ
كَأنّها تَبْحَثُ عَنْ زِرِّ ضَائِعٍ وَرَاسِ إبْرَةٍ
هَكَذا بِثّنا بِقُلُوبٍ خَصِيّةٍ
وَوُجُوهٍ كَالنّعَالِ

نَخْشَى أنْ تَبْتَعِدَ فِيكِ
إلى الحَدّ الّذي تَصِلُ إليهِ جِرْذَانُ اللّيلِ
نُنْكِرُ أصْوَاتَ البَرْقِ وَالرّيحِ وَالمَطَرِ
لِنَتَعَلّمَ كُلَّ يَوْمٍ
لَهْجَةَ سَرَطَانِ البَحْرِ
المُتَعَفّنِ في المِيَاه.

■■■

هَذِهِ أحْلامُكِ تَجْمُدُ
حَالَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثُقُوبِ رَاسِكِ المُدَبّبَة
وَهَا هِيَ تَتَكَاثَرُ كَحِجَارَةٍ رَمَادِيّةٍ
في حَوْضِكِ الضّيّقِ

تَبْتَعِدِينَ عَنْ يَدِ البَحْرِ المُعَانِقَةِ
وَتَغْتَسِلِينَ مِنَ الزّبَدِ
لَكِنْ تَبْقَى مَشَاعِلُ بَحَارَتِكِ
تَخْلُو عَلَى الأمْوَاجِ
هَلْ تَهْمِسِينَ بِكَلِمَةٍ... هَلْ تَحَطّمَتْ
عَلَى فَمِكِ صَدَفَة؟ هَلْ ارْتَعَشَتْ عِظَامُكِ لحظةً، أمِ
الدّمْعَةُ الأخِيرَةُ تَقْرَعُ في
حَجَرِ القَلْبِ؟

أنتِ صُوَرُ الّتي سَقَطَتْ
مِنْ جَيْبِ التّارِيخِ
كَيْفَ تَبْقَيْنَ عَلَى الرّمَالِ
كَالعُلْبَةِ الضّائِعَة؟

مَنْ يَدْفَعُكِ ثَانِيَةً إلى البَحْرِ؟
مَنْ يُحمِلُ شَجَرَةً إلى شَوَارِعِكِ المَسْقُوفَةِ؟

مَا زالَ الصّيْدُ مُتّصِلاً عَلَى جَبِينِكِ
وَجَبِينُكِ يَنْتُنُ مِنْ رَائِحَةِ الصّيْدِ
وَالدّمَاءِ البَارِدَةِ
مَا زَالُوا يُخَوّفُونَ التّلاميذَ مِنَ البَحْرِ
وَالصّيّادينَ مِنَ الكُتُب

نَحْنُ الّذينَ نَتَكَلّمُ مِنْ جُثّتِكِ
نَفْتَحُ نَوافِذَنا في رِمّتِكِ المُتَصَخّرَة
حينَ نَزَلْنَا مِنَ القُرَى
أقْرَغُوا بَنَادِقَنا مِنْ كُلّ حَبّةٍ بَاقِيَةٍ
وَقَعْقَعُونَا عَلَى مَوَانِئِ
وَعَرّضُونَا عَلَى السّكارَى
قَطّعُونَا عَلَى صَخْرِكِ
بَعِيداً مِنْ نُجُومِ الحَقْلِ
رَبطُونا إلى السُّفُنِ
حَمّالِينَ وَعَبِيداً
عَلَى الجِبَالِ عَصَرُوا القُلُوبَ المُدَوّرَةَ
كُثْفُاحَاتِ الجِبَالِ
وَأطْلَقُوا الأمْوَاجَ الصّغيرةَ عَلَى جُثَثِ الغَوّاصِينَ

هَكَذا كُنّا في أسْواقِكِ نَرْقُصُ بَيْنَ الطّلّقَاتِ
نَقْشِي وُعُيونُنَا في الأرْضِ
كَأنّها تَبْحَثُ عَنْ زِرِّ ضَائِعٍ وَرَاسِ إبْرَةٍ
هَكَذا بِثّنا بِقُلُوبٍ خَصِيّةٍ
وَوُجُوهٍ كَالنّعَالِ

نَخْشَى أنْ نَتَعَفّنَ فِيكِ
إلى الحَدّ الّذي تَصِلُ إليهِ جِرْذَانُ اللّيلِ
نُنْكِرُ أصْوَاتَ البَرْقِ وَالرّيحِ وَالمَطَرِ
لِنَتَعَلّمَ كُلَّ يَوْمٍ
لَهْجَةَ سَرَطَانِ البَحْرِ
المُتَعَفّنِ في المِيَاه.

الخُرُوج

نَخْلُمُ في لَيْلٍ لا يَرْتَفِعُ إلى حَافَةِ السّرير. نَجْلِسُ
بَيْنَ الحِيطَانِ المُفَكّرَة. وَنَتْرُكُ هَذِهِ الكُتَلَ اللاغِطَة
حَوْلَنَا كَاذِبَةً باهِظَة، تَبْنِّ وَتُخْرِجُنا مِنْ قَاعِ
الكَأسِ المَاضِيَة. تَضَعُنَا كَعَيْنٍ مُدَمّاةٍ عَلَى حَافَةِ
الطّاوِلَة، تُبْصِرُ الصُّوَرَ الصّاحِيَةَ تَرْتَدُّ إلَيْهَا
وَتَتَكَدّسُ فِيهِا. تَرَى الأحْلامَ الّتي قَتَلَها لَيْلُها
تَخْطُرُ في النّهارْ...
هَذِهِ سَاعَةُ حُلُمِ الأشْيَاءِ.
المَاءُ يَتَجَمّعُ وَيَتَبَدّدُ عَلَى الشّبَاكِ وَالمَصَافِي،
وَنَحْنُ بَيْنَ الحَجَارِينَ نَتْبَعُ كِسَرَاتِ المَطَرِ عَلَى
أغْشَاشِ الصّخْرِ. ذَلِكَ البَحْرُ لا يُخِيمُ بالقَطْرَةِ،
فَلْنُخْرِجْ أسْمَاكَنَا الآليفَةَ، وَلْنَخْطِبْ في النّهارِ
وَالجُذُوعِ وَالحَجَرِ خَلْفَ القَطْرَةِ المُتَخَشّبَة. لَقَدْ
فَقَدْنَا وَنَحْنُ نَمْسَحُ النُّقُودَ بَحْراً كامِلاً وَانْطَوَتْ
فَوْقَ رُؤوسِنَا سَمَاءُ بِرُمّتِها كَمِنْدِيلٍ وَرَقِيّ، وَهَا
هِيَ تَنزِلُ وَتَقْعِي تَحْتَ أبصارِنَا وَنَحْنُ عَلَى
مِيزَانِنَا لَا نَدْرِي.
الأسْنَا تَرَى وَنَحنُ نَخُدّقُ في جُيُونِنَا الاشجارَ
عَلَى النّقود. الآ تَتَجَمّعُ عِظامُ البَحْرِ الحُوتِيّةُ عَلَى
السّاحِلِ وَالأمْوَاجُ تَتَدَلّى لُعَاباً عَلَى فَمِ المَيت، الا
تَنْتَظِرُنا تَحْتَ المَصَابيحِ وفي الكُوَى الأسْمَاكُ
المَيّتَةُ كالرّسَائِلِ الخَطِرَة. الا تَتَوَزّعُ خصلاتُ
البَحْرِ عَلَى الشّوارِعِ فتظْلُمُ بِرَائِحَتِها الأسْوَاق.

مَنْ يَرَى بَعْدَ اليومِ بِعَيْنِ بِئرٍ مُطْلَقَةٍ وَعَيْنٍ قِطْعَةٍ
ذَهَبِيّةٍ، مَنْ يَرْمِي غَابَةً في جُبٍّ كَمَا يُلْقِي كِتَاباً
مُهْمَلاً. مَنْ يَطْرُدُ السّماءَ كطَيْرٍ عَابِرٍ ويهوِي
السّحابَةَ بالعَصا.
يَخْرُجُ البَحْرُ. نَقْتَفِيهِ وَهُوَ يَنْزِفُ لُجَجَهُ المُهْلِهَلَة
عَلَى المَفارِقِ. تَتَعَثّرُ عَاصِفَةٌ بِفَضَاءِ السُّفُنِ.
والبَحْرُ يَتَقَدّمُ كَالأعْمَى وَجُمُوعُهُ تَتَقَطّعُ في كُلّ
نَاحِيَة. يَدُورُ حَوْلَ الجُذوعِ وَيَرْتَفِعُ بِلا هزّةٍ وَلا
تَجَاعِيدَ عَلَى الحِجَارَةِ المُعَرّفة. تَغِطُّ البَرَكُ وَتَغِطُّ
المُسْتَنْقَعَاتُ، وَتَتَجَمّعُ طَبَقَاتُ حَشَراتٍ وَاجِنَة.
يَنْخَلِعُ الوَقْتُ عَنْ جِلْدِ السّاقِيَةِ البَاقِيَةِ وَيَخْرُجُ
كَروحٍ مِنْ بَيْنِ الأنْقَاضِ. ثُمّ تَدُبُّ مِنْهُ شَمْسٌ كَذَلِيقَةٍ
مُعَلّقَةٍ فَتَرْشَحُهُ الأرْضُ وَتَذْرِفُهُ إلى الاقَاصِي.
يَخْرُجُ البَحْرُ فَنَقِفُ كَنَخيلٍ صَخْرَاوِيٍّ. نَجْلِسُ
الأرْضُ عَلَى عَقَارِبِ سَاعَاتِنا وَتَدورُ حَوْلَ
إبْهَامِنا نَقْعِي في ظِلّنا، مُخَبّئِينَ السّمَاءَ تَحْتَ
غصباً لَا تُرْسِمُ ظِلاً. هَا هُنا يَقِفُ كُلُّ شيءٍ كَزَرْقَةِ
المَزْنِ، وَتَنْوِيعاتُ الرّيحِ وَالمَطَرِ لَا تَقَعُ عَلَى الذّاكِرة.
أينَ تَكونُ الأرضُ؟ تَحْتَ كيسِنا، أيْنَ نُفَكّرُ؟ على
صُندوقِ. تَفْتَرِقُ الخُطَى وَالبقعُ بَيْنَما يَرْتَجُّ تَحْتَ
الشّبَاكِ الجَدِيدَةِ وَالاحْذِيَةِ روحُ البَحْرِ.

تَتَجَمّعُ الامْوَاجُ المَخْلُولَةُ عَلَى الدّفّةِ كالاحْشَاءِ،
وَتَخْرُجُ اعْشَابٌ وَأسْرَابُ مُقَطّعَةٌ مِنْ بَطْنِ البَحْرِ
المَلْغُومِ. نَسْمَعُ صَلِيلَ السّلاسِلِ حَوْلَ مَرَابِطِ
السُّفُنِ، وَمَرَابِطِ المُرْجِ. وَنَرى اليَمَّ المُرَقّطَ تَحْتَ بُقَعِ
الزّيتِ وَالعُلَبِ وَالنّفَايَاتِ المُلَوّنَة، ثُمّ يَفُورُ المِيناءُ
كُلّهُ بِزَفَرِ البَحْرِ.

يَغيبُ البَحْرُ، يُقَطّبُ، وَيَتَمَدّدُ الوَقْتُ وَالابَدِيّةُ جَسَدٌ
صُحُفُ وَأوْرَاقٌ عَلَى حُجراتِهِ المَكْشُوفَة. تَتَوَقّفُ
أفْرَاسُهُ، وَتَنَامُ أعْشَاشُهُ تَتَوَقّفُ البَاقَاتُ. طُرِحَتْ
في المَاءِ رُقْيَةٌ قَصْدِيرِ نَائِبِ فَسَاحَ في الحَوَاصِلِ
وَبَيْنَ الجُدرانِ. يَغِطُّ في الغُرَفِ وَالمَعَامِلِ وَتَحْتَ
المَحَرّكات. صَعَدَ إلى السّطحِ وَطَفَا بِلا رُكبَتَيْنِ
كَالعَبْدِ. جَمَعُوا أزْهَارَ الرّبِيعِ البَحْرِيّ وَنَزَعُوا الزّبَدَ،
نَزَعُوا أكَاليلَ الجُنُونِ البَحْرِيّ وَحَقَنُوا النّيَّار.
هَكَذا جَفّتْ آبَارُ البَحْرِ وَنَامَ الجَرْدُ البَحْرِيّ تَحْتَ
مَدَاخِلِ البَوَاخِرِ وَحَوْلَ الآلات. هَكَذا أحسّ بِرُكْبَةٍ
هُنَا وَرُكْبَةٍ هُنَاك، بِكُوعٍ وَآلِيافَ وَضُلوعٍ. انربَطَ
مِنْ كُلّ مَكَانٍ كالكِيسِ تَصَلّبَتْ قَطْرَاتُهُ كَفِقْرَاتِ
الظّهْرِ وَتَجَمّعَ حَوْلَ أحْشَابٍ وَمَسَامِير. الآنَ
يَجُرُّ البَحْرُ مَاءَهُ الكَسِيح، الآنَ يَدِبُّ إلى الضّفّةِ.
يَنْعَقِدُ مِنَ القَاعِ إلى السّطحِ، وَيَلْتَفُّ مِنَ الدّاخِلِ
بِلُبِّ خَشَبٍ وَلُبِّ مَعْدِن. يَنْجَدِلُ المَاءُ عَلَى نَولِ
بِعَجَلاتٍ وَيَنْقَطِعُ كَالوَاحٍ. تَرْتَفِعُ ضَجّةٌ خطّابِينَ
يَكْسِرونَ الاعْماقَ، وَيُبْنَى البَحْرُ كَالغَبَاتِ وَالدُّنِ.
بَيْنَ أحْوَاضِ السُّفُنِ وَالمَعَامِل.
كانَ البَحْرُ مُزَيّحاً بِزَوايا شُمُوسٍ مُكْسُورةٍ
بِزَوَايَا رِجَالٍ لَمْ تَتَحَطّمْ.
كانَ الرِّجالُ مُزَيّحِينَ بِالكَلَامِ.
كانَ الكَلامُ بَاقِياً عَلَى الأرْضِ الكَبيرةِ كَمَدينةٍ
مُعَطّلَة.
كانَ البَحْرُ، كانَ الرِّجالُ، كانَ الكَلامُ.

دراسة

فوزية الغالي تستنطق «الفضاء المقدّس»

نور الدين بالطيب

ضمن سلسلة «أطروحات/ حضارة»، صدر كتاب للباحثة فوزية الغالي بعنوان «الفضاء المقدّس في الإسلام إلى نهاية القرن 8 هجري/ 14ميلادي» (دار زينب . تونس) تناقش فيه مجموعة من المسائل الإشكالية في الثقافة العربية الإسلامية، خصوصاً ما يتعلّق بالإسلام المبكّر مثل مفهوم المقدّس، والمسجد كفضاء، والكعبة ودورهما في تثبيت السلطة السياسية. يندرج الكتاب ضمن سياق دراسات الإسلام المبكّر التي تفوّقت فيها مجموعة من الباحثات التونسيات من تلميذات الراحل هشام جعيط وعبد المجيد الشرفي. تنوّعت هذه الدراسات، لكن الخيط الرابط بينها واحد يتمثّل في تفكيك مدوّنة الإسلام المبكّر ومؤسساته. وتمثّل التيارات الدينية اليوم بجناحيها الشيعي والسّني، تلك المرحلة من تاريخ العرب المسلمين التي ما زالت تمدّ بظلالها على المخيال العربي الإسلامي، وما زالت خلافات سقيفة بني ساعدة حاضرة في حياة المسلمين اليوم وتمثّلهم للسّلطة السياسية وإعادة إنتاجها.

توضح الباحثة فوزية الغالي سرّ اهتمامها بـ «الفضاء المقدّس» بالقول: «يتّصل الدافع الأوّل بما نلاحظه من انتشار واسع لفضاءات التعبّد؛ والتزام النّاس بالإقبال عليها على اختلاف مستوياتهم العلمية وشرائحهم العمرية. وتضيف: «وقد أثار فضولنا استمرار أداء طقوس ولبدة بيئة بدوية بنفس الكيفية رغم انخراط المجتمعات المسلمة في مظاهر الحداثة».

أمّا دافعها الثاني فهو الدور الذي لعبه المسجد النبوي في المدينة من وظائف متنوّعة منها «تأليف الاتباع حول الدعوة وتسيير الدولة». أما دافعها الثالث، فهو قناعتها بـ «إعادة تقليب تمثّل المسلمين للفضاء المقدّس ووضع ما يعتبره الضمير الجمعي من قبيل المسلمات والثوابت على محكّ الدراسة المتأنية».

تحاول الباحثة في كتابها الإجابة على سؤال مركزي: «بم نعلّل انشداد المسلم إلى رقعة جغرافية محدّدة يتكبّد عناء ومشقّة للوصول إليها رغم اعتقاده أن الله في كل مكان؟». تطرح أسئلة أخرى عن استمرار قداسة المسجد والكعبة في التمثّل الإسلامي جيلاً بعد آخر.

اعتمدت المؤلّفة في مدوّنتها على مجموعة من الكتب أوّلها القرآن، وكتب السيرة، وكتب الأخبار، والتاريخ، وكتب الرحلات. تقول في هذا السياق: «لا يستقيم تتبّع أخبار الفضاء المقدّس على امتداد ثمانية قرون إلاّ بتحرّي ترتيب الأحداث عبر السنين، فاقتضى ذلك الاستناد إلى كتب التاريخ».

وتنطلق فوزية الغالي في مقاربتها من «تمثّل المقدّس» في فترة الإسلام المبكّر، وهو ما يقتضي العودة إلى القرآن لأنّه «يؤسس العقيدة الإسلامية، ويحدّد تصوّر المسلم للعالم». وتحدد الآيات الثلاث التي ورد فيها لفظ المقدّس. وبحسب النص القرآني، يكون الحرم «هو الفضاء المقدّس الذي تأسّست به العقيدة الإسلامية في القرآن». وتضيف «ولا يعود توفير الحرم للأمن إلى عملية التبنّي أو الأسلمة، ولكن يخصّ مكانة هذا الفضاء في الضمير العربي الحافّ به، ممثلاً في الحاجة إليه والمتعوّد به لحاجة ماسّة إلى فضاء يأمن فيه على نفسه وماله وتجارته».

يتضمّن الكتاب ثلاثة أبواب، يحمل الأول عنوان «في تمثّل الفضاء المقدّس في الإسلام» وينقسم إلى ثلاثة فصول عن تمثّل مفهوم الفضاء المقدّس؛ وتشكّل مركز الفضاء المقدّس ومرجعيته. ترى الباحثة من خلال هذه الفصول أنّ «الفضاء المقدّس في الإسلام نتاج استقرار الجماعة في مجال جغرافي، من خصائصه أنه محاط بالغموض»، وتعني به الصحراء. كما أن تشكّل الفضاء المقدّس ليس مرتبطاً بفترة زمنية محدّدة، بل هو آلية تعتمدها الجماعة في تعاملها مع المحيط الطبيعي وتتخذ مثالاً «القبر» الذي يمثّل مرجعية قداسة متشظية.

وفي الباب الثاني، اهتمت بقداسة الكعبة والمسجد تفرّداً وتعدّداً، حيث ترى أنّ «الكعبة والمسجد يحوّلان قداسة الفضاءين من البعد الرمزي إلى عظمة التجسيد الإنساني الماثل في البناء». وتضيف «فالكعبة والمسجد كانا بدءاً هيكلاً بدائياً متكوّناً من أربعة جدران ترسم حدود الفضاء أفقياً بحسب الجهات الأربع ولكنّها منفتحة عمودياً على السّماء، لا تنغلق دونها بسقف. ويبدو الفضاء المقدّس بهذه الهندسة وعاءً كبيراً يحتضن المطر النازل أو الوحي النازل أو الرحمة النازلة من الإله على عباده المخلصين، وهو أيضاً مجمع النفوذ الإسلامي الذي حقّق التفاعل الثقافي مع أمم أخرى من روم وفرس، ممّا يقدّمها المؤمن المتعبّد براهين ولاء وتجديد للعهد مع إلهه».

وتخصّص الباب الثالث في المسجد، تحت عنوان «في توظيف المسجد بين تسويد المقدّس وتقديس السيادة»، ضمّ ثلاثة فصول هي: في توظيف المسجد لتثبيت السيادة السياسية، وفي توظيف المسجد الأخرى، وحرصاً على تخليد ذكراهم عبر البناءات الفخمة. وهو ما يؤكد «اعتبار السيادة السياسية ذات تأثير هام في تاريخ الفضاء المقدّس في الإسلام ضماناً لاستمراره، وتحديداً لملامحه».

وترى الباحثة أن دراستها لـ «الفضاء المقدّس» دفعتها إلى مراجعة مجموعة من المسلّمات من بينها «اعتبار مرجعية إضفاء القداسة على الفضاء، لا تصدر إلا عن نص توقيفي يوحي به الله أو ينطق به النبي». وتؤكد المؤلفة أنّ الفضاء الذي تتوافر فيه شروط القداسة بحسب المدلول القرآني، هو الحرم المكي فقط لأنّ ذلك «يكرّس وحدة المدلول ووحدة الإله في انسجام مع العقيدة التأسيسية للإسلام في محضن وثني ألا وهي عقيدة التوحيد».

وتعتبر فوزية الغالي أن الصراع السياسي عبر التاريخ بين الحاكم ومعارضيه، جعل الفضاء المقدّس، خصوصاً المسجد، عرضة للانتهاك، مما أسقط صورته القدسية في الضمير الجمعي، «فتهاوت قداسته من الضمير المعاصر». لكن الرواة حرصوا على استعادة لحظة التأسيس «التي كان فيها الإنسان خالياً من اقتراف الذّنوب، والعالم خالياً من الشرور».

هذا الكتاب الذي يضاف إلى المكتبة العربية، يدلّ على جهد كبير في استحضار محطّات تاريخية بدءاً من لحظة التأسيس التي يمثّل فيها النبي محمد «نموذجاً فريداً لفهم أثر المتخيل في نمذجة قصة تأسيس المركز المقدّس من خلال ما ارتبط به من معالم عمرانية مغلّفة بلباس ميثي» في حين يرتبط العامل الثاني بطقوس التّعبّد الموروثة. إذ تواصلت الطقوس في الفضاء المقدّس بصيغتها الاحتفالية، ويرتبط العامل الثالث بدور الفضاء المقدّس في تثبيت السلطة السياسية.

يطرح العمل إشكالية أساسية في المخيال العربي الإسلامي، وهي تمثّل قدسية الفضاء، ليس في الممارسة الدينية فقط بل في الممارسة السياسية أيضاً، إذ ما زال المسجد فضاءً للتوظيف السياسي بين السلطة والمعارضة.

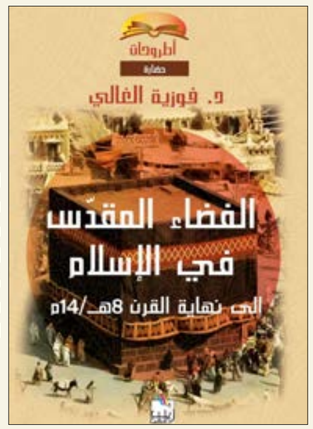

اعتنى الخلفاء والملوك بعمار المساجد كفضاء رمزي لتثبيت السلطة

فكر سياسي

باربرا والتر تسائل الديموقراطية الأميركية

يحيى الطيب

«كيف تبدأ الحروب الأهلية؟». في الواقع لا إجابة واحدة، إلا أن هناك أنماطاً تظهر لاندلاع هذا النمط من الحروب عبر الزمن والجغرافيا. في كتابها الجديد How Civil Wars Start (كراون ـ 2022)، تحاول باربرا والتر، أستاذة العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو، تقديم نظرية عن اندلاع الحروب الأهلية، وتوضح مدى تغير الحرب الأهلية الآن عن نظيرتها في الماضي، خصوصاً الحرب الأهلية الأميركية في القرن التاسع عشر. وفقاً لوالتر، نادراً ما تندلع الحروب الأهلية في بلد مع حكومة ديموقراطية أو استبدادية. إنها بالأحرى تندلع في دولة في حالة انتقالية بين سلطتين... تلك المرحلة الانتقالية الخطرة، حين تصبح المؤسسات هشة ومصالح الأقوياء في حالة تغير مستمر. وهذه المساحة غير المستقرة تخلق فرصاً للعنف مواتية للذين يسعون إلى الإفادة من الفوضى لمصالحهم الشخصية أو الفئوية. كما تشهد البلدان تصادماً بين سياسات الفصائلية مثل: الهوية والحرمان من الحقوق، وشلل الحياة الطبيعية، وهذا بدوره يجعل الاحتراب الأهلي أكثر احتمالية.

تزيد الفصائلية من شقاق المجتمعات الهشة بالفعل. ويمكن للجماعات العرقية والدينية أن تنشأ في مجتمعات هشة بسبب الخوف أو الضرورة. هذه هي الحال، بشكل خاص، عندما يتم تحديد هيكل المجتمع، أقلّه جزئياً، على أساس خطوط عرقية أو دينية، وعندما يتم حرمان المجموعات التي كانت تتمتع بالسلطة في السابق. واحد الأمثلة الواضحة هو حرمان السُنة من مناصب السلطة في العراق لصالح الشيعة مع عملية اجتثاث «حزب البعث» العراقي، مما وفر أسباباً كافية لاندلاع العنف الداخلي المروع.

يُعالج كتاب والتر بشكل كبير التهديدات المحدقة بالديموقراطية الأميركية من خلال تطبيق نموذج التمرد داخل الولايات المتحدة، خصوصاً بعد أحداث 6 كانون الثاني (يناير) 2021، يوم اقتحم المتظاهرون مبنى الكابيتول ونهبوه، وبدا البلد أكثر انقساماً من أي وقت مضى حول كل قضية تقريباً، وأكثرها إثارة للقلق هو الانقسام المستمر حول شرعية الانتخابات الأخيرة.

وبتضخيم الصراعات الفصائلية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، يبدو أن الانقسام داخل المجتمع الأميركي يمزّق نسيج البلاد ذاته. لقد أصبح هذا الانقسام متطرفاً، إلى درجة أن باربرا تتوقع حرباً أهلية جديدة. والأمر الأكثر إثارة للقلق، أن هناك من يبدو أنه على استعداد لها، بل يتطلّع إلى مستقبل يتم فيه رسم خطوط المعركة المادية على طول الحدود السياسية أو الجغرافية. ترى باربرا أن سنوات رئاسة ترامب كانت مؤشراً إلى الانحلال المؤسسي في الولايات المتحدة. تصف تلك السنوات الأربع بأنها علامة على انهيار المجتمع، إذ فتح ترامب صندوق باندورا الذي يحوي كُل آثام المجتمع الأميركي، وجعل المستقبل، في أحسن الأحوال، لا يحتمل إلا قدراً ضئيلاً من الأمل لتجاوز تلك الآثام. تُجادل والتر بأن أسس الديموقراطية الأميركية أخذة في التآكل، كما يتضح من محاولة ترامب تفكيك سيادة القانون ورفضه للأعراف الرئاسية. وتشير إلى أن صعود اليمين المتطرف والمجموعات الهامشية الأخرى مؤشر إلى ظهور تمرد ناشئ. وتُجادل بأن القضايا النظامية الحقيقية في البلاد، أي تلك المتعلقة بالعرق، والعدالة، والقانون، والنظام، تقع في نطاق يُهدّد بحدوث إبادة جماعية.

تكمن المشكلة في أنه بينما تُحدد والتر القضايا المشروعة، يتم أخذ الحجة إلى أقصى الحدود، لتصبح مُبالغاً فيها، بدلاً من أن تكون بمثابة نقطة انطلاق لنقاش جاد. رغم سنوات ترامب، إلا أنّ مؤسسات الديموقراطية الأميركية أثبتت أنها راسخة. وعلى الرغم من المخاوف بشأن التطرف في الجيش وقوات إنفاذ القانون، هناك خطر ضئيل من انقلاب هذه المؤسسات على الدستور. كما أنّ ادعاء والتر بأن العنصرية الهيكلية المتأصلة في هذه المؤسسات، هي مقدمة للإبادة الجماعية، تبدو مسألة تحتاج لنقاش أوسع وأكثر جدية.

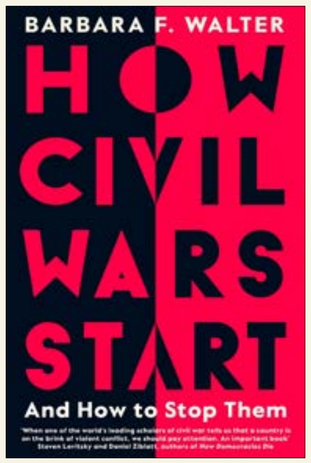

رئاسة ترامب كانت مؤشراً إلى الانحلال المؤسسي في الولايات المتحدة

كتاب والتر جزء من اتجاه حديث للكتابة التي يبدو أنها تفترض أن الديموقراطيات، ولا سيما الديموقراطية الأميركية، لا يمكنها التكيف أو الاستجابة للتحديات الجديدة. لكنّها لا تقف عند التحديات الحقيقية والأساسية داخل الولايات المتحدة، في حين تعدّد الأمور الأكثر إلحاحاً مثل: المتمردون المحليون والميليشيات اليمينية وأنشطة أنتيفا وغيرها من الجماعات اليسارية العنيفة. هل يجب التعامل معهم؟ بالتأكيد، وإلى أقصى حد يسمح به القانون. لكن المؤلفة تركّز على هذه المجموعات المعزولة، في حين تجاهل التحديات السياسية الأساسية التي تعتبر هذه الظواهر أحد أعراضها. يتضح ذلك في الكيفية التي يصف بها النقاد والمحللون الدعم الذي حصل عليه الرئيس السابق ترامب. بدلاً من محاولة فهم المظالم السياسية التي يقوم عليها دعم هذه الشخصية السياسية، يطلق المراقبون ببساطة على هؤلاء المؤيدين أوصافاً مثل عنصريين. وعلى الجانب الآخر، كان منتقدو متظاهري العدالة العرقية مهتمين أكثر بتسمية المتظاهرين بالمشاغبين والمجرمين أكثر من التعامل مع المظالم الاجتماعية والعرقية التي تحفّز هذه الاحتجاجات.

تشير والتر إلى أنّ معظم الأميركيين يعتبرون أنّ الحروب الأهلية بعيدة من الواقع، لا تندلع بين جيوش منظمة منقسمة على أسس جغرافية وسياسية محددة. فالحرب الأهلية تهديد أكثر غدراً ومدفوع بالمتغيرات والعوامل ورجال الأعمال. مع أن هذا الطرح جيد، لكنّ والتر تذهب بعيداً، إذ طبّقت نموذجها للحرب الأهلية بشكل غير فعّال على حالة الولايات المتحدة.

رواية

«شهريار» العراقي سائحاً في المعمورة؟

سلوى دبوق

«كيف لحُبّ رجل أن يصرعنا حتى نفقد ذواتنا، حتى تمسي غريبة عنا، حتى نعجز عن فهم تفكيرنا الجديد على الرغم من مخالفته كل منطق... وكل حقيقة؟ لقد مسخني يونس بحري ومضى. لقد حولني حبّهُ إلى شيء، شخص، هيكل، كيان لا يشبه أبداً ما كنته قبل لقائه، وكأنه مسخني إلى شيء آخر فعلاً». بهذه الكلمات تعبّر جولي فان ديرفين، إحدى زوجات يونس بحري العديدات، عن انهيارها بعد رحيله عنها في رواية العراقي سامي البدري «يونس بحري وموانئ الليل» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ 2022).

تتناول الرواية سيرة الرحّالة والإعلامي والكاتب العراقي يونس بحري (1904-1979) وهي مستفزّة للقارئ (وتحديداً للقارئات) من نواح عدة. ما يلفتنا بداية هو غلاف الرواية المطبوع باللون الأزرق الذي يرمز إلى البحر الذي اشتق منه اسم البطل أو ربما دلالة على مهارة الرجل في السباحة. إذ قيل إنه اجتاز بحر المانش بمفرده. ومن هنا اكتسب لقب «بحري». الطريف أنّ صنارة صيد تمتد من اسم يونس بحري إلى البحر المليء – لا بالسمك وثمار البحر كما يُفترض بكل المساحات المائية- بل بأسماء عشرات بل مئات النساء «الحوريات» اللواتي وقعن في شباك صيدهنّ بحري أو «دونجوان العراقي».

تحفل الرواية بمغامرات الرجل النسائية الذي يُحكى أنه أنجب قبائل من الأطفال. نراه ينتقل من امرأة إلى أخرى بكل رشاقة، ويتخلى عن أولاده منهن بحجج واهية. يقول إنه لا يستطيع البقاء في مكان واحد مع زوجة واحدة طوال العمر. عندما «يصبح صوت الديك في رأسه» معلناً وجوب الرحيل، يحمل أمتعته تاركاً المرأة والأطفال، منطلقاً إلى آفاق جديدة غير آبه بمصيرهم من بعده. الطريف أيضاً في الرواية هو تصوير النساء بأنهم عاشقات متيّمات بحبه، فهن يسقطن في شباكه من أول نظرة. ومن راضيات بما يقدمه لهن الأستاذ بحري، فيكفي أنه مرّ في حياتهن البائسة رجل مميز مثله! يا لسعادتهن حقاً!

ذكورية يونس بحري طاغية بقوة على الرواية، فالنساء أشبه بقلاع وحصون وأبراج عليه أن يغزوها ويحتلها ويخضعها لسلطانه الذي لا يقاوم كما تدل مفردات الكاتب المستقاة من ميدان المعارك والحروب. وصديقنا بحري كملك غازي يريد أن يترك أثراً أينما حلّ وهو أيضاً «شهريار عصره» الذي لم يترك امرأة في الشرق أو الغرب تفلت من قبضة يديه. لو كانت الفيلسوفة الفرنسية سيمون دو بوفوار حيّة، لوجدت في يونس ضالتها وأشبعته تقريعاً ونقداً نسوياً شديد اللهجة، فهو يمثل النزعة الذكورية بكل تجلياتها. يفرد الكاتب مساحات حوارية لهذا الرجل المثير للجدل ليُعبر عن نفسه ويبرر أفعاله الغريبة، فيخبرنا عن فلسفته التي تقوم على استغلال الحياة لأقصى حدّ لأنها قصيرة جداً فلا وقت لإضاعته في الحزن والنكد وتحمل المسؤوليات العائلية.

الرواية مبنية بشكل أساسي على مذكرات تركها الرجل وحكايات قيل عنه فيها الكثير من المبالغات حتى ليكاد أن يكون أسطورة القرن. جمع البطل في شخصه كل التناقضات، فتارة يكون مفتياً إسلامياً في مساجد اندونيسيا، وطوراً راقصاً متهتكاً في ملاهي باريس. وهو على علاقة بكل السياسيين والرؤساء والوجهاء والجميع يعرفه من رشيد الكيلاني ونوري السعيد إلى محمد أمين الحسيني. وهو أيضاً المطلوب رقم 4 من الحلفاء في الحرب العالمية. حتى إنّه التقى أدولف هتلر قبل أن يصبح زعيماً لألمانيا في أحد شوارع برلين وأقرضه ديناراً ثمن العشاء لأن «الفوهرر» كان جائعاً.

يأخذ الحوار أحياناً أبعاداً سياسية وأيديولوجية، فنسمع شخصيات الرواية تنتقد بشدة إسقاط الملك فيصل الثاني في العراق وتعتبر عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف سبباً في الخراب الذي حلّ بالبلاد. للرئيس المصري جمال عبد الناصر حصة وفيرة من النقد أيضاً، فهو (وفقاً للرواية) شجّع الانقلابيين في العراق وتسبب في دخول البلاد في دهاليز مظلمة ما زالت ارتداداتها مستمرة حتى يومنا هذا. هل كان هذا موقف يونس بحري فعلاً من عبد الناصر وثورة الضباط الأحرار؟ وهل كان مؤيداً للملكية في العراق؟ أم هو موقف الكاتب الشخصي من الرجل الذي أمم قناة السويس وبنى السد العالي في مصر؟ أم هو حنين لعصر الملكية الزائل حين كان وضع العراق الأمني والاقتصادي ربّما أفضل حالاً من الأيام الحالية؟

الرواية متعددة الأصوات، فهناك فصول مخصصة لشخصية يونس بحري وهو يسرد القصة من وجهة نظره، وفصول لابنته الغجرية إيلينا التي تسافر إلى بغداد بحثاً عن والدها الشهير من دون أن تستطيع الالتقاء به مرة واحدة. وهناك صفحات عدة للنساء العاشقات يحكين عن سحر الرجل الأخاذ. مع ذلك، لا يسهم تعدد الأصوات في تشكيل صورة موضوعية للسندباد العراقي، بل يصبّ في خانة إضفاء المزيد من العظمة والغموض على هذا الرجل الغريب العجيب. من ناحية أخرى، يمكن الإشادة باللغة التي كُتبت فيها الرواية، فالعبارات مسبوكة والكلمات بليغة والأسلوب رشيق. يتقن الكاتب لعبة السرد الروائي بحيث يبقى القارئ متلهفاً حتى النهاية لمعرفة مصير هذا الرجل المغامر الذي جمع في شخصيته بين التقوى والانحلال.

«يونس بحري وموانئ الليل» قصة رجل عربي مغامر قادته الصدف للقاء شخصيات تاريخية في أوج الحرب العالمية الثانية. ويبدو أنه لعب دوراً أساسياً في الدعاية لهتلر والنازية والدعوة للثورة على البريطانيين الذين كانوا يحتلون العراق من خلال إذاعة «صوت العرب» التي كان يصدح صوته من خلالها «هنا برلين... حي العرب». لكن المبالغات الروائية والإكثار من التوابل العاطفية الحارقة تجعل القارئ يُشكك في صحة كلّ هذه القصص، ويستصعب هضمها، فينهي الرواية حائراً متسائلاً: أين تبدأ الحقيقة فعلاً وأين ينتهي الخيال؟

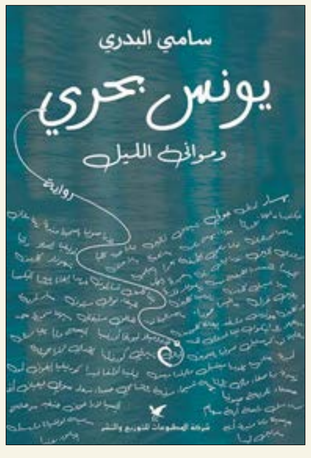

الرواية كناية عن سيرة الرحّالة والإعلامي والكاتب يونس بحري

لمحات

محمود شقير

يستعيد الكاتب الفلسطيني محمود شقير تفاصيل حياته، وهو على عتبة الثمانين، في كتابه «تلك الأزمنة» (دار هاشيت أنطوان - نوفل) الذي يشكّل الجزء الثاني من سيرته التي بدأت مع «تلك الأمكنة». يبدأ الكاتب من طفولته في القدس، ويُسهب في الحديث عن فترة النّضالين الحزبي والوطني، كما يفرد مساحة أوسع للتجارب الشخصية والعلاقات مع بقية زملائه من الكتّاب والمناضلين الفلسطينيين. ما يميّز هذا الجزء، ليس استعراض المدن الكثيرة التي زارها شقير، ولا سرد أحداث مهمة من تاريخ النضال الفلسطيني فقط، بل ثراء السرد بحدّ ذاته، وطول الفترة الزمنية التي يُغطيها، ما يرشّحه لأن يكون مرجعاً لكلّ باحث وقارئ مهتمّ بالذاكرة الفلسطينية المعاصرة.

محمد عبد الله فضل الله

«الشيخ محمد جواد مغنية علّامة مجدداً» (دار النهضة العربية) هو عنوان كتاب الباحث اللبناني محمد عبد الله فضل الله الذي عالج العديد من الموضوعات الفقهية والعقائدية التي تطرّق إليها مغنية على مدى عشرات السنين ودوّنها على صفحات «مجلة العرفان» و«رسالة الإسلام». يضيء الكتاب على الأسلوب والمنهج العلمي الذي تميّز به الشيخ، بالإضافة إلى مقاربته المعاصرة للعديد من القضايا، ما جعله علامة فارقة في الفضاء الشيعي والإسلامي العام. تتوزع أبحاث الكتاب على شؤون العقيدة وقضايا فقهية مهمة، وخصوصاً الميراث، والاجتهاد مع النص وحكم الأراضي وغيرها. كما يعرض الكتاب مقالات الراحل الفكرية التي تناولت موضوع القياس والموقف من الاشتراكية ودور رجال الدين والاجتهاد والزهد.

غسان مراد

يعالج كتاب «مرايا التحولات الرقمية والتمثلات الذهنية للذكاء الاصطناعي» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر) بعض الإشكاليات المتعلقة باللغة والعقل، ويطرح أهمية تحديد المفاهيم الأساسية لهذا التحول الرقمي انطلاقاً من الدماغ والفكر، وصولاً إلى الدور الذي تؤديه اللغة الأم في مواكبة كل أشكال التطور. يعالج الكتاب أيضاً علاقة اللغة العربية بالرياضيات وكيف يمكن الإفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي وخوارزمياته في حوسبة هذه اللغة. يشرح المؤلف ماهية الثورة الرقمية والتغيير الذي أحدثته في معادلة القيَم، والمواقف التي اتُّخذت إزاء مواقع التواصل الاجتماعي نتيجة هذه الثورة. كذلك، يتناول الخطر الذي يهدد وجودنا بسبب التغيرات الناجمة عن الرقمنة والاتجاه نحو ثقافة رقمية أحادية.

لينا هويان الحسن

تأخذ الكاتبة السورية لينا هويان الحسن القرّاء إلى عالم غريب مختلف في روايتها «حالة القلمتين: عن جنيات وساحرات الشام وعرافاتها» (دار الآداب). فليصغِّر القارئ نفسه للقاء أغرب النساء، وأكثرهنّ جاذبيةً ونُدرةً في هذا النصّ الذي ينهل من معارف الحكمة القديمة المغيَّبة. يستلهم إرث «زمن السَّحَرَة»، ويفتح بوَّابات الماضي السحيق وفق رؤيةٍ حداثيَّة. هذا الكتاب سيخلخل أحكامنا المسبقة عن هذا العالم المغويّ الذي يحمل مفاتيح شفاء الروح ويحارب «الاكتئاب» مرض العصر، وفي الوقت نفسه، يُطلعنا على قصص وحكايات عشق. «حكاية القلمتين» هي رقصةٌ روائيَّةٌ تحملنا صوب قصور وقلاع تركها الزمن الغابر كتحفٍ تهمس لنا «كان يا ما كان في سالف العصر والزمان...».

جذو كريشنامورتي

كيف يمكننا إنهاء العنف بأنفسنا، نحن الذين بنينا مجتمعاً وثقافة ملؤهما القساوة والعدائية؟ هذا السؤال يحاول المفكر والفيلسوف الهندي جذّو كريشنامورتي (1895-1986) الإجابة عنه في كتابه «ثورة على العنف» (1973) الذي انتقل إلى العربية عن «دار الساقي» (ترجمة روبرت صايغ). إنه كتاب المواجهة الكبرى! كتاب التحوّل العميق في الأنفس والعقول. يدرك كريشنامورتي ما فعله العنف بالعالم وكيف دمّر العلاقات الإنسانية وشوّهها، فيشير إلى الطريق لحياة سليمة وسالمة حيث وفرة الحبّ والعطف، لتجاوز العداوة والبغضاء، وتخطّي الأنا المرضية، ثم إحداث تغيير إيجابي في المجتمع. تُمثّل كتابات جذّو كريشنامورتي وفلسفته الروحية مرجعاً حول العالم، وقد سبق أن ترجمت له «دار الساقي» كتاب «ماذا أنت فاعلٌ بحياتك؟».

سوراب كارو ميدتسي

ترتكز «داجني: وليمة حب سماوية» (2011) الصادرة بنسختها العربية عن «دار صفصافة للنشر» (ترجمة أمل الشربيني) على جريمة حقيقية وقعت في بداية القرن العشرين، فقدت على إثرها سيدة نرويجية غامضة حياتها؛ لكنها ليست رواية بوليسية، بل عمل استثنائي يحكي عن الحب والأسى والفن وما وراء منظورنا الأرضي لهم. يستلهم الكاتب الجورجي سوراب كارو ميدتسي، روايته من الأساطير التي تقف على أبواب الحقيقة، ومن الشعر القديم. داجني بول، المرأة النرويجية التي أحبت كثيراً، ملهمة رسامي وفناني وشعراء عصرها، تلقّت طلقة واحدة قاتلة عام 1901، أطلقها معجب موتور ثم قتل نفسه تماماً كما تنبّأت لوحة «الصرخة»، إذ يقال إن الفنان مونخ تأثّر بهذه المرأة حين رسم لوحته الشهيرة.

أوراق

صيحة غراب

زكريا محمد *

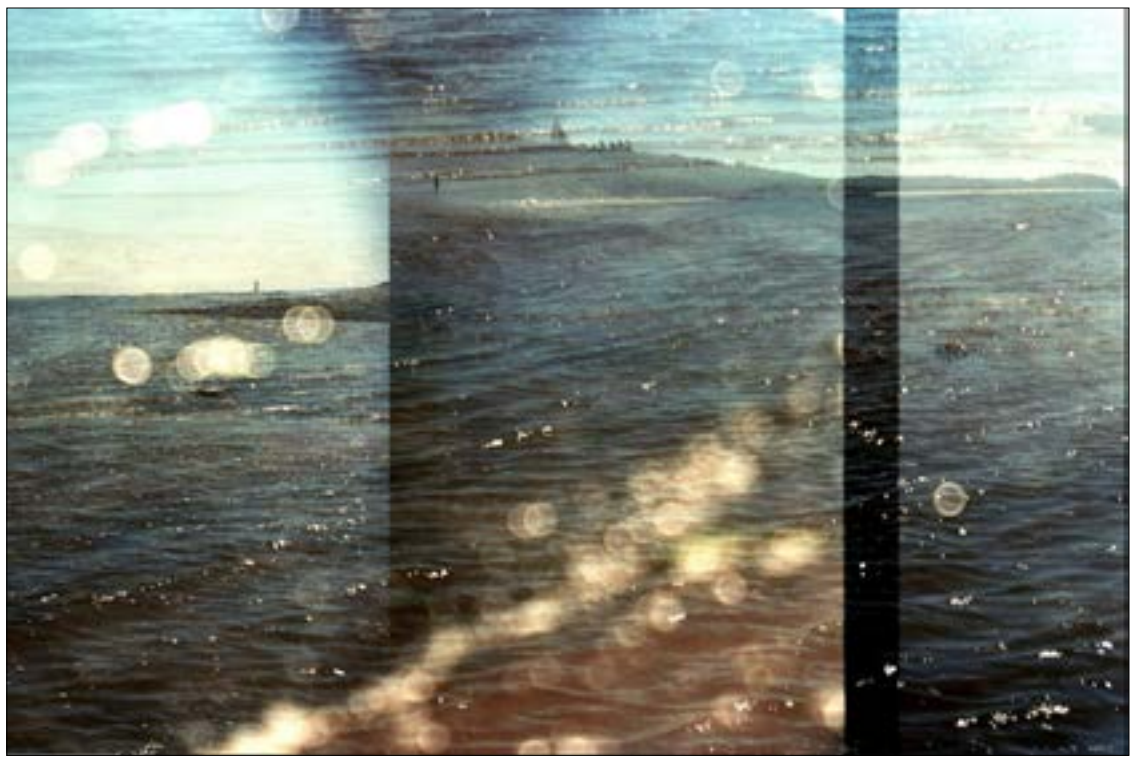
لي اوتس ـــ «فضاء انتقالي» (2015 ـ 2016)

أعدّ مجموعتي الشعرية الجديدة للنشر. وهي ستكون بعنوان «تمرة الغراب»، ما لم يحصل ما يجعلني أقرّ على عنوان آخر. ورأيت أن أنشر عدداً من مقطوعات هذه المجموعة هنا. مرات قليلة نشرت مقطوعاتي في زاويتي في «كلمات». وكنت أحسّ بالذنب حين أفعل ذلك. لأنه ليس من حق الكاتب أن يمطر قارئ زاويته بقضاياه الفنية الشخصية. لكن ها أنا أفعلها مرة أخرى، وأنشر مقطوعاتي أدناه كنوع من الإعلان غير مدفوع الثمن عن مجموعتي الجديدة. لذا وجب الاعتذار.

الماء أسود، والتمر أسود. وأنا أسود مثلهما. كما أن الحقيقة أيضاً سوداء، وأسود هو الفهد الذي يحرسها.
فتعالَ يا عابر السبيل، أو تعالي أنتِ يا نسرين، كي أكشف لكِ سوادي. كي أريكِ وحمة العتمة تحت ثديي، علّك تصيرين سوداء مثلي. سنكون أسودين مثل التمر والماء، ومثل الحقيقة وفهدها، إن مشيتِ معي.
أنا آكل حجارة وأنت آكلة سنابل. وسنقطع الطريق معاً.
وحين يختم الليل بختمه سوادنا معاً سأخمش لك كفّك مثل سنّور، وآكل الحجر الذي في يدك، والتمرة التي في فمك.
وأنت تعرفين أن هذه مجرد تشابيه، وأن التشابيه داكنة مثل دم الحيض.
لو كنتُ ملِكاً لحبستُ نسرين حتى تصير سوداء، ثم أطلقتها في الفجر مثل صيحة غراب.

2021-5-1

■■■

أرجف مثل طفل تحت الحصبة.
فأنا أعرف المشبّه والمشبّه به، لكن لا أعرف وجه الشبه بينهما. هناك شبه ضعيف بين حذوة الحصان وعيني. وهناك شبه أرسخ منه بين طائر البلشون وحبة جوز في يدي.
ارم لي مفتاح العلب على الطاولة. أريد أن أفتح النهار مثل علبة سردين. أريد أن أبلع الزمان مثل حبة أسبرين.
أعرف العين الدوارة للعظاءة ولا أعرف من أيّ عابر سبيل أخذتْها.
الفكرة ونقيضها يمشيان ورائي مثل كلبين.
لا يمكن الحصول بسهولة على تشبيه، ولا يمكن الوثوق بوجه الشبه. لذا أقلّد شيرين كأنني بنتها. ولذا أغني بشفتها.
سوف أنزل بعد قليل كي أجني الكمأة. كي أنبشها بعصاي. الكمأة شهيد مكفّن بالتراب. وكل مقطوعة طائر بلشون كذّاب.
وفي ما مضى كنت أموت وجداً بين الشجرة وحجرها. بين فم الكأس وقعرها. أما اليوم فأنا أموت كأنني حذوة حصان. كأنني طبعة من طبعاتها.
أنا حبيس التشابيه.
لذا سأفتح لكم النهار مثل علبة سردين. سأكسر لكم قلب شيرين وزجاج بيتها.

2020-11

■■■

الاسم كلبشة من حديد. وحين تسمي شيئاً، فأنت تحبسه مثل حصان في الحظيرة، أو تضع قيداً على رجله في المروج. وأنا لا أحب أن أحبس أحداً. لذا أترك الأشياء ترعى في حقل، والأسماء ترعى في حقل آخر. لا أجمع بينهما.
ولهذا أيضاً أنسى أسماء معارفي. أنساها لأنني أحبهم. أتركهم هكذا فالتين في المرعى تحت الشمس.
لكن مريم هي الوحيدة التي لا أنسى اسمها. أضع اسمها تحت ضرسي، وأمضغه طوال اليوم. بل إنني أعلك هذا الاسم في مناماتي أيضاً.
الأسماء نسيان كامل إلا اسم مريم وحدها.
وقد تظنون أنني أفهم هذا الاسم وأعرف معناه. لا، اسم مريم لغز كبير. وأنا أتغنّى به ولا أفهمه. لهذا ضممته متعمّداً، ومتعبّداً، إلى أوائل السور. إلى سور الحواميم والطواسين.

2021-4-21

■■■

أما الزهور فلا أفلت أسماءها. وحين أعبر قرب زهرة آخذ اسمها معي. فأنا لا أعرف الزهور إلا بأسمائها. فحاسّة شمّي ضعيفة. وقد ورثت هذا عن أمي التي شمّتني حين ولدتني، ولعقتني مثل بقرة، ثم فقدت حاسّة شمّها. وأنا أمضي في طريقها ذاته: تفلت رائحة الزهور مني وتصعد في السموات. لذا فأنا ملزم أن أقبض على الزهور من أسمائها. أقبض على هذه الأسماء كما لو أنني أقبض على أيدي أطفال وأقطع بهم الشارع.
الزهور لعنتي: رأسي مليء بأسمائها، وعيناي مليئتان بتويجاتها.

2021-4-21

■■■

الليل والحجر شيء واحد، وهما من الجذر ذاته في القاموس.
أما اليأس فيأتي من زهرة شجرة الفتنة، والجرح الكبير من الأحبة. وهذه أريحا التي زرعت فيها نخلة وأضأت قنديلاً.
جبل الأربعين قدامي: هذاك مصعده وهذاك مهبطه.
تعالوا إذاً عندي. سنشعل ناراً ونجلس حولها صامتين. لا أحد منا سيفتح فمه. كل واحد سيقبض على عصاه ثم يضع ذقنه على يده التي تمسك بالمقبض، ويتأمل النار.
النار هي النصّ الوحيد الذي لم تفتح مغاليقه يد بعد. وأريحا جارية تغتسل من حيضها في العتمة تحت شجرة الدوم.
تعالوا كي تمنحوني خيطاً أمسك به. كي تعطوني مطلعاً أصعد به. أريد أن آكل الليل وحجارته، وأن أهيمن على الزمن.
لقد حبست لكم النار في الموقد. حبستها بالأثافي الثلاث، بالكلمات الموجعة الثلاث، وستظل محبوسة طوال الليل. وسوف نحاول معاً تفسير نصها المبهم العظيم.
جبل الأربعين على يميني. وأنا سأسقطكم تحت أقدامه بالخمرة. سأسقطكم بسحر نجمة الزهرة.
عقدتُ عقدة حبل. زرعتُ فسيلة نخل. وهناك جراح لا أمل في شفائها.

2020-7-12

■■■

أيلول في أواخره. عجلاً يمشي ويضرب جبينه بكفه كأنه نسي شيئاً. يظن أنه نسيني وراءه مثل صرّة على الرصيف.
اسمع يا أيلول، يا من ترتدي سترتك بالمقلوب، أنا لا أُنسى. الحجر في قبضتي يذكّر بي، والنجمة تحت لساني تذكّر بي أيضاً.
وأنا أعرف الأعيبك، وأعرف الخرافة عن إكليلك الأصفر الذي كأنه: «ذهب مشغول». لكن ذهبك لا يهمني، فالفضة مذهبي. الفضة التي تسيل من أعين المحبين، والتي تقطر كالندى بين الوعي واللاوعي.
لقد احتملتك فقط من أجل أسراب طيور السمّان التي تعبر البحر المتوسط فيك. واحتملتك من أجل عود العنصل. ولولاهما كنت أطلقت النار على إكليلك الذهبي.
أيلول في أواخره. نسي أمه، ونسي ذاته، وأخلف عهده معي.
لكنني لا أهتم. فهمّي هو عود العنصل. وعود العنصل يصعد أمامي في السماء وتتفتّح فيه ألف زهرة.
وكل هذا ملكي أنا لا ملك أيلول.

2021-9-27

■■■

كشف لي الحبيب عن معنى اسمي ذاته. لم أكن منتبهاً لذلك. قال لي: أنت تنادي أحداً ما يا زكريا. ألست ترى ياء النداء في آخر اسمك؟ ناد يا زكريا، ناد. فالإنسان حرف نداء لا غير.
لذا أجعلُ ياء النداء في أول المقطوعة.

لماذا خلق الله السموات والأرض هكذا يا مريم؟ لماذا جعل الموت أجمل طفل فيها؟

أضعها هناك مثل عصا من خشب الجوز. مثل صخرة في بدء الطريق. على البدء أن يكون بالنداء. وعلى النهاية أن تكون حرف نداء.
أضع شظية مرآة على الصخرة، وأقول لها: اعكسي الشمس يا مرآة، اعكسيها يا امرأة. وهي تعكس الشمس، وتعكس الكون في دماغي.
آه يا أمهاتنا، الحبيب له قطعة من لحمنا، والمبغض له قطعتان. والمستقبل يتحسس طريقه في العتمة.

2021-12-26

■■■

أنا واحد من القردة العليا التي أمسكتْ، عبر صدفة ما، بشعلة الوعي، وسارت بها في ليل الغابات وليل السافانا.
وطوال الوقت أفكر بهذه الشعلة وفائدتها، ولا أصل إلى نتيجة حاسمة. أقول لنفسي أحياناً: هذه الشعلة هي روح الكون وشرفه. لكن في أحيان أخرى أصل إلى أنها كانت في الحقيقة شعلة للموت تركها لنا إله ما على صخرة فالتقطناها. لذا فنحن نحمل في الحقيقة موتنا - لا وعينا - مثل قنديل ونسير وراءه.
أسقطتْ شجرةُ الدّلب ثمرتَها الشائكة، فانفجرت، وتساقطت بذورها. وهذا هو وعي شجرة الدلب. هذا هو قنديلها. أما نحن فقناديلنا مقاطع شعرية قصيرة لا فائدة منها.
وليس هناك من سبيل إلى شجرة الدّلب. أردت أن أغني لها، لكنني لا أعرف لغتها. أردت أن أغني للذئبة تحت البدر، لكنها لا تفهم مقاطعي. لقد عزلتنا اللغة. عزَلَنا وعيُنا. نورنا كان عزلتنا.
القرود العليا تغني، ولا أحد يفهم غناءها. القرود العليا تبكي ولا أحد يمسح دموعها. فأين تذهب هذه القرود بعدما خلّفت سهول السافانا وراءها؟
أعطني كسرة خبز، وأنا أعطيك مقطعاً قصيراً. أعطني تمرة، وأنا أعطيك شعلة موت تقطع بها سهول السافانا، وتقطع بها وريدك في معصمك.

2021-12-10

■■■

اسمعي يا سيرين، لقد صنعتُ من أسمائك الكثيرة مسبحة من تسع وتسعين حبة، وطقطقتُ بها تحت أبواب السماوات. في آناء الليل وأطراف النهار ألعب بها بإبهامي، أسقطها حبة حبة، ثم تصعد لي ثانية كي أعدها من جديد. الحبة الأولى هي الاسم الكبير: سيرين. الحبة الثانية شيرين. والثالثة إيزيس. أما الرابعة فشجرة السرّيس، وهكذا.
وفي منتصف الليل حين ينهكني عدّي وتسبيحي أغني، ثم أضع ذراعي على الطاولة، وأرمي رأسي عليها، وأنام.
السيوف معلقة على الجدار، والحروف مصفوفة على الكيبورد، والأسماء في المسبحة. وأنا أعدّ بإبهامي، وأكتب بسبابتي. وسوف أعدّ وأكتب حتى يوم القيامة.
أعظم الأشياء أن تكون بلا صلة. أن تتدلّى وحدك مثل عنكبوت بخيط رفيع ينزل من السقف. أعظم الأشياء أن تجعل فراشك نقطة ولحافك نقطة أخرى فوقها، وأن تعدّ بإبهامك لحبيب لم تره قط، ولن تراه أبداً. وفي الساعة الثانية عشرة حين ينهكك العد، تضع مثل رجل عصابات يدك على المسدس، ثم تطفئ النور، وتطلق النار.
هذا هو الليل الذي تُسلخ منه النهارات يا سيرين. وهذه هي النجوم التي تتساقط مثل حبات مسبحة. وهذا هو الكيبورد الذي أطقطق به كي تنفتح لي في لحظة ما ثغرة في الأرض أو في السماء.

2021-12-5

■■■

لقطت اليوم بيدي آخر تمرة على النخلة. علكتها ماشياً في فمي. وبذا أكون قد أقفلت بيدي وضرسي باب الصيف، وافتتحت بوابة الخريف.
ويفترض أن يسقط مطر عما قريب. لكنني لست متشوقاً للمطر. المطر عالة علينا وعلى طفولتنا. إنه طفل يمخط أنفه بكمه ويبكي في الطرقات.
وفي كل حال، فالفصول كلها باطلة. كما أن التمرة باطلة. كل ما تلقطه اليدان باطل، وكل ما تمسك به العينان باطل أيضاً.
من أجل هذا، من الأفضل أن تجعل الغبار عائلتك، وأن تعبد ما تجده من الحجارة في طريقك، وأن تحب الدمية التي أتى بها بريدك، وألا تسمح لأحد بأن يعتادك.
اليوم هو السبت، أما غداً فهو الأحد الذي تبشّر بالموت نواقيسه. وأما بعد غد فسوف أنام مثل رغيف على الحصى الساخن.
أوه، شققتُ بالسبابة والإبهام آخر تمرة على النخلة. وآخر تمرة هي الخريف. وأول عاشقة خائنة هي النخلة.

2020

■■■

مرة عبرتُ حقل الشوفان البرّي والعيدان تتصايح حولي. كنت أبحث عن زر قميص مريم الذي سقط من غير أن تدري.
الحقيقة مولود بلا اسم، لذا فكرت في أن أعطيها اسمي. كما أن الزهرة بلا أب، لذا طوّبتها ابنة لي. فأنا كريم حدّ الموت. كريم حدّ أن الحجر ذاته يخجل من وجودي. فاذكري هذا جيداً يا مريم.
في الصباح أكون قادراً على ابتلاع الكون كله. وفي المساء يستطيع «أبو بريص» على الجدار أن يمد لسانه ويبتلعني. فاذكري هذا يا مريم أيضاً، فأنا أذكر زر قميصك، وأذكر عيدان الشوفان البري وهي تتصايح عند خصرك.
لماذا خلق الله السموات والأرض هكذا يا مريم؟
لماذا جعل الموت أجمل طفل فيها؟
أنت عود شوفان يا رب، ومريم قبيلة سكوت ونسيان. وهي قد أقفلت بسبابتها فمي، فلم أعد قادراً حتى على أن آتي بمقطوعة قصيرة واحدة.
هذا آخر يوم في السنة يا رب.
هذا أجمل طفل على وجه الأرض.

2021-12-30

* شاعر فلسطيني

Samedi 16 July 2022 no26
السبت 16 تموز 2022 العدد السادس والعشرون

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

ممنوع الوقوف

7-6

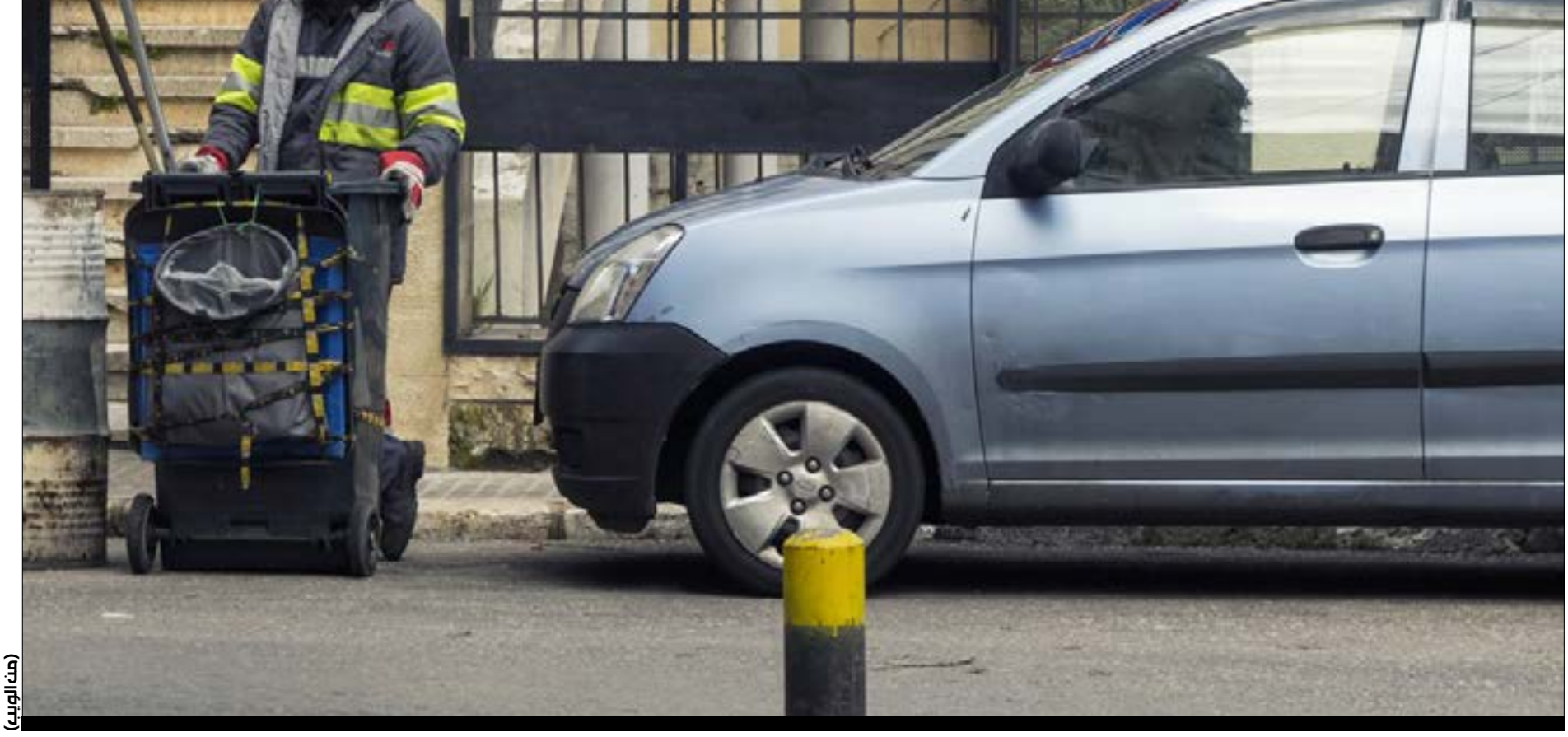

(من الويب)

دليل التحقيقات في الحرائق المفتعلة

من أين بدأت النار؟

3-2

هل يمرّ الزمن على السجن المؤبد؟

5-4

المختبر الجنائي

التحقيق الجنائي في أي جريمة يتطلب مهارات وامكانيات علمية وعملية للوصول الى الحقيقة. في حوادث الحرائق، تكون الامور أكثر صعوبة لان الحرائق بطبيعتها مدمّرة وتلتهم الأدلة أثناء اندلاعها، فيما غالباً ما يجري العبث بمسرح الحادث قبل وصول المحققين، إما عمداً بتدخل الجاني، او بطريقة غير مقصودة بسبب إجراءات «الاستجابة الاولى للحريق» وأعمال الإطفاء والاسعاف. وكل هذا، يعيق التحقيقات ويجعل سبب الحريق أكثر غموضاً. وإضافة الى أهمية التاهيل العلمي والدعم التدريبي، هناك مهارات مختلفة يفترض توافرها في المحققين في هذه الحوادث

دليل التحقيقات في الحرائق المفتعلة

من أين بدأت النار؟

(ارشيف ـ مروان طحطح)

■ جنان الخطيب

للتحقيقات الجنائية في حوادث الحرائق أهمية خاصة بسبب الخسائر المادية والبشرية والمخاطر الناتجة عنها، لا سيما خطر افلات الجاني من العقاب. لذلك، تلعب المهارات العلمية والعملية للمحققين دوراً أساسياً في فهم سبب الحريق واكتشاف نقطة بدايته وتحديد أنماط النار وسلوكها، خصوصاً في الحرائق المتعمّدة التي قد يلجأ الجناة فيها إلى طمس الأدلة لإعطاء انطباع بأنها عرضية او نتيجة إهمال.

الركيزة الأهم في تحقيقات الحرائق هي التعرف إلى نمط الحريق وتحليله وتحديد ظروف اللهب والدخان (الحجم واللون والارتفاع والموقع والاتجاه الذي تتحرك فيه النيران). ورغم ان أسباب الحرائق مختلفة، الا انها كلها تخضع للمبادئ العلمية الكيميائية والفيزيائية نفسها. لذلك، فإن فهم أنواع الأنماط التي يتم إنتاجها أثناء الحريق والعوامل التي تؤثر على إنتاجها، يمنح المحقق العوامل العلمية التي يبني عليها آراءه.

يقوم المحققون في حوادث الحرائق بفحص مكان الحريق لجمع الأدلة المادية مثل المسرعات (accelerants)، أو أنماط حرق معينة، أو مواد مستخدمة في بداية الحريق، ما قد يشير إلى نشاط إجرامي.

نقطة البداية

في كثير من الحالات، يكمن «مفتاح التحقيق» في تحديد مصدر الحريق. لكن، لا بد من أخذ عوامل عدة في الاعتبار عند تحديد نقطة بداية الحريق، كموقع المستوى الأعلى للحرق (قمة النمط على شكل حرف V) والمستوى الأدنى، ومنطقة الضرر الأكبر، وموقع رواسب الدخان على الجدران، وغيرها. بمجرد تحديد نقطة منشأ الحريق، يمكن للمحقق ومحللي المختبر تحديد سببه. وتشمل الدلائل التي يمكن للمحقق تقييمها لتحديد سبب الحريق، لون الدخان ولون اللهب والروائح الموجودة في مكان الحادث، كما يمكن استخدام الاختبارات الكيميائية الميدانية لتحليل الأدلة المادية كنوع المسرعات التي تم استخدامها لبدء الحريق على سبيل المثال.

عموماً، تشتعل النيران لفترة أطول عند نقطة البداية أو بالقرب منها، وبالتالي فإن الضرر الأكبر يكون في هذه النقطة، وعادةً ما يتم العثور على سبب الحريق فيها، سواء كان عرضيًا أو عمداً. تحديد نقطة البداية يساعد في تاكيد أو نفي أقوال الشهود أو المشتبه بهم وغيرهم. وعلى المحقق، في نهاية المطاف، تحديد ما إذا كان الحريق قد بدأ عمداً. وقد يشير ما يلي إلى إحراق متعمد: علامات الدخول بالقوة إلى المبنى، مؤشرات على ارتكاب جريمة أخرى في المبنى، أدلة على جهود لإعاقة وصول رجال الإطفاء إلى المبنى، العبث بقوارير الغاز أو الأجهزة الكهربائية في المبنى وغيرها.

> بسبب الطبيعة المدمرة للنار، قد يكون من الصعب الحصول على أدلة، ما يفترض بالمحققين تحليل مسرح الحادث بحذر شديد، وتجنب الاحكام المسبقة والخلاصات المتسرعة

وبسبب الطبيعة المدمرة للنار، قد يكون من الصعب الحصول على أدلة، ما يعني أن على المحققين تحليل مسرح الحادث بحذر شديد، وتجنب الاحكام المسبقة والخلاصات المتسرعة. وهناك خطوات عدة في التحقيق في الحرق العمد، بدءاً من الوصول إلى مكان الحادث وحتى الانتهاء من التحقيق.

الوصول إلى مسرح الحادثة

هناك أمور عدة ينبغي تقييمها في مسرح الجريمة، مثل وجود ضحايا مرئيين، والأضرار الناجمة عن الحريق، وأي شهود أو مارّة. يمكن لأي أمر يتم تحديده في هذه المرحلة الأولية أن يساهم في التحقيق. ومهما كانت التفاصيل صغيرة، فإنها قد تضع المحقق على المسار الصحيح وتعطيهم ملامح أولية حول ما إذا كان الحريق متعمداً أو عن غير قصد.

في ما يتعلق بالهجوم المباشر، على المستجيبين توخي الحذر من أي أجهزة حارقة أو متفجرة. ومن المهم أيضًا أن يكونوا على دراية بأي أجهزة قابلة للاشتعال داخل المبنى، مثل قوارير الغاز أو الأجهزة الإلكترونية التي قد تنفجر. بمجرد أن يقيّم المستجيبون المشهد، يمكنهم بعد ذلك التصرف بشكل مناسب، من خلال إخماد الحريق، وإخراج المدنيين من المبنى، والتأكد من أن البيئة المحيطة آمنة.

على أول المستجيبين:

- تقييم المشهد لمخاطر السلامة (على سبيل المثال، الانهيار الهيكلي للمبنى؛ الدخان، المخاطر الكهربائية أو الكيميائية أو البيولوجية، المخاطر الصحية الأخرى).
- إنشاء مناطق السلامة / الخطر.
- إبلاغ المخاطر إلى الأفراد الآخرين الذين يصلون إلى مكان الحادث.
- استخدم أدوات ومعدات الحماية الشخصية المناسبة للمهمة في كل العمليات.

تقييم المشهد

يتم وضع شريط تحذيري حول منطقة مسرح الجريمة، ما يساعد في حجبها عن الجمهور ومنع أي تدخل جنائي محتمل للعبث بمسرح الجريمة وطمس الأدلة. عند تقييم المشهد، يدوّن المحققون ملاحظات بصرية لأي دليل، مثل الدم وأصل الحريق.

توثيق المشهد

تستلزم هذه الخطوة تدوين ملاحظات مادية والتقاط صور وتسجيل مقاطع فيديو. يسمح ذلك بتخزين الحالة الأصلية للمشهد بشكل دائم في حال وجود أي تلاعب بالأدلة، ويمكن استخدامها لاحقًا في التحقيق للبحث عن القرائن والأدلة التي قد تفوت المحقق في الموقع.

معالجة الادلة

على المحققين البحث عن أي مواد يرون أنها ذات صلة بالتحقيق وجمعها والحفاظ عليها وحمايتها من التلوث. في حالة الحرق المتعمد، قد تكون هذه المواد أسلحة او عبوات ناسفة او أي شيء آخر يمكن أن يمنح المحققين نظرة ثاقبة في ما يتعلق بأصل الحريق.

تخزين العينات

من المفترض أن تكون الحاويات المستخدمة لتخزين العينات محكمة الإغلاق ونظيفة لتجنب أي فقدان أو تلوث للأدلة. لا يمكن استخدام الأكياس والحاويات المصنوعة من البولي إيثيلين إذ يمكن أن تنبعث منها بعض أنواع الشوائب التي تدمّر الأدلة. لذا فإن أفضل الحاويات وأكثرها استخدامًا هي العلب المعدنية المحكمة الاغلاق.

في العمق

هل يمرّ الزمن على السجن المؤبد؟

السجن المؤبد عقوبة تقضي بحبس المحكوم مدى الحياة، وقد يُقضى بالإفراج عنه بعد فترة لأسباب عدة. وفي معظم الحالات، يكون الإفراج لأسباب صحية للمحكومين من كبار السنّ، في استقالة للدولة من مسؤولياتها بالعناية بالمحكومين المرضى، وفي حالات أخرى وفق عفو رئاسي خاص او تطبيقاً لقانون تنفيذ العقوبات. ولأنها عقوبة موبّدة، كما يشير اسمها، هناك من يرى أنها، مثل الإعدام، ليست سوى هدر للطاقة البشرية، مايقضي بالحدّ من تداعياتها عبر الإفراج المشروط، فيما يراها آخرون عقوبة يستحقها المجرم

(هيثم الموسوي)

■ صادف علوية

عديدة هي الحالات التي يحكم فيها القاضي على الجاني بالسجن المؤبد او بالأشغال الشاقة المؤبدة، كما في حالات القتل قصداً او خيانة الوطن او اختطاف شخص وحرمانه من حريته لمدة تتجاوز الشهر، وفي جرائم أخرى، وذلك في الحالة التي لا تتوفر فيها شروط الحكم بالإعدام.

عقوبة تلي الإعدام قساوة

يعدّ السجن المؤبد عقوبة قاسية لأنه يعني السجن مدى الحياة، وتعتبر عقوبتا الأشغال الشاقة المؤبدة والاعتقال المؤبّد ثاني أقسى العقوبات الجنائية بعد الإعدام بموجب المادة 37 من قانون العقوبات اللبناني.

بعد انبرام الحكم، تبدأ رحلة المحكوم بدءاً من مكان حبسه الى تجريده من حقوقه المدنية. ويقتضي وجوباً أن تختلف أماكن الحبس بين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة والمحكوم عليهم بالاعتقال المؤبد والمؤقت بموجب المادة 56 من قانون العقوبات. كما أن مرسوم تنظيم السجون الصادر سنة 1949 ينص على وجوب أن يُحبس المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة والاعتقال المؤبد الموقت والحبس وبقية الموقوفين في أماكن مختلفة.

ويعني الحكم بالأشغال الشاقة المؤبّدة أوالاعتقال المؤبّد، حُكماً، تجريد المحكوم من حقوقه المدنيّة عملاً بنص المادة 63 من قانون العقوبات. كما أن المحكوم عليه مؤبداً واعفي من عقوبته بعفو عام او خُفّضت عقوبته، يخضع حكماً لمنع الإقامة لمدة 15 سنة بموجب المادة 82 من قانون العقوبات.

مرور الزمن

في حالة مرور الزمن على الحكم، يختلف وضع المحكوم مؤبداً عن بقية المحكومين. فالأصل أن مدة مرور الزمن على العقوبات الجنائية تبلغ ضعف مدة العقوبة التي حكمت بها المحكمة ولا تتجاوز العشرين عاماً. فيما مدة مرور الزمن على العقوبة الجنائية المؤبدة تبلغ 25 سنة. بمعنى أوضح، إذا صدر حكم بالحبس مدة 8 سنوات، مثلاً، فإن مدة مرور الزمن على العقوبة هي 16 عاماً، أما المحكوم بالسجن مؤبداً فتكون مدة مرور الزمن على عقوبته 25 عاماً.

احتجاز مدى الحياة

في تقرير حمل عنوان «موجز السياسات المتعلقة بالحبس المؤبد - 2018»، عرّفت المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي وجامعة نوتنغهام البريطانية الحبس المؤبّد كما يأتي:

«هو حكم بلي إدانة جنائية، يمنح الدولة سلطة احتجاز شخص ما في السجن مدى الحياة، أي حتى يموت هناك. ويحمل مصطلح الحبس المؤبد معاني مختلفة، فهو يعني في بعض الدول أن السجناء المحكوم عليهم بالحبس المؤبد ليس لهم الحق بأن يُنظر بشأن إطلاق سراحهم، وفي دول أخرى، يُنظر عادةً في إطلاق المحكوم عليهم بالحبس المؤبد بعد فترة معينة».

وعدّدت المنظمة أنواع الحبس المؤبّد كما يأتي:

- الحبس المؤبّد من دون تخفيف أو إفراج مشروط حيث لا تكون هناك إمكانية للإفراج.
- الحبس المؤبد من دون إفراج مشروط عندما لا يتم النظر في الإفراج بشكل روتيني، ولكن يجوز منحه من قبل السلطة التنفيذية أو رئيس الدولة.
- الحبس المؤبّد مع إمكانية الافراج المشروط حيث تنظر المحكمة في الإفراج بشكل روتيني من قبل مجلس الأفراج المشروط أو هيئات مشابهة.
- إطلاق السراح المشروط الرمزي حيث يتم الإفراج تلقائيًا بعد قضاء فترة معينة في السجن.

وفي لبنان، كالعادة، ندمج بين الأنواع. ففي حالات معيّنة، تكون هناك إمكانية للإفراج، ويجوز لرئيس الدولة منحه بموجب عفو خاص في حالات أخرى.

الخفض ممكن وبعيد المنال

بموجب قانون تنفيذ العقوبات رقم 463 تاريخ 2002/9/17، يمكن خفض عقوبات الحسني السيرة والسلوك من المحكوم عليهم جزائياً بعقوبات مانعة للحرية، بخفض عقوباتهم وفق شروط محددة في متن القانون، أولها أن لا يكون المحكوم عليهم بعقوبات جنائية مؤبدة من المكررين وأن لا يقع الجرم ضمن إحدى الجرائم التالية:

- الجنايات الواقعة على أمن الدولة وعلى المال العام.
- تزوير العملة أو تقليدها لا ترويجها.
- الاتجار بالمخدرات لا ترويجها.

وفي حال كان المحكوم عليه قد اقترف جرماً يختلف عن هذه الجرائم الثلاث ولم يكن مكرراً، يمكن للجنة المكلفة تقديم اقتراح الخفض أن تطلب خفض العقوبة وفق الشروط التالية:

1- أن يثبت لها أن المحكوم عليه حسن السيرة وان اطلاقه لا يشكل في ضوء حالته النفسية أو العقلية أو الصحية أو الاجتماعية خطراً على نفسه أو على غيره.

2- إذ نفذ المحكوم من العقوبة 18 سنة على الأقل، في إمكان المحكمة ان تقرر خفض عقوبة الحبس المؤبد على ألا يقل إجمالي العقوبة المخفضة الواجب تنفيذها عن 20 سنة وان لا تزيد عن 25 سنة.

> **يعني الحكم بالاشغال الشاقة الموبّدة او الاعتقال الموبّد، حُكماً، تجريد المحكوم من حقوقه المدنيّة**

والجدير بالذكر أن قانون أصول المحاكمات المدنية ينص على انتهاء حبس المدين ببلوغه سن الـ65 من عمره في حالات الحبس لسداد ديون محددة في القانون.

أما طلبات الخفض في جرم القتل قصداً، فقد خصّ المشرّع المحكوم عليه (المادة 549 عقوبات) بأحكام خاصة راعى فيها ضرورة طلب أهل الضحية، وأوجب على رئيس اللجنة تبليغ أقرباء الادعاء الشخصي طلب خفض العقوبة مع المستندات والتقارير التي يراها مناسبة لإبداء ملاحظاتهم على سبيل استئناس اللجنة والمحكمة بها، كما عدّل الفترة اللازمة لطلب الخفض، فاشترط أن يكون المحكوم عليه قد نفّذ 20 سنة على الأقل من عقوبة الحبس المؤبد، وأجاز للمحكمة خفض العقوبة من المؤبد على ألا يقل إجمالي العقوبة المخفضة الواجب تنفيذها عن 25 سنة، وأن لا تزيد عن 30 سنة بدلا من 25 سنة في الجرائم الأخرى.

أما المحكوم عليه الذي سبق أن استفاد من استبدال عقوبة الإعدام بمؤبد بموجب حكم مسند إلى قانون عفو عام أو بموجب مرسوم عفو خاص، فلا يتقدم بطلب الخفض إلا إذا نفذ من عقوبته 25 سنة على الأقل، على أن تتوافر فيه الشروط العامة، وأن لا يقل إجمالي العقوبة المخفضة الواجب تنفيذها عن 30 سنة وأن لا تزيد على 35 سنة.

إلا أنه، ولأسباب غير مبررة، ورغم صدور مرسوم تحديد آلية تنفيذ قانون تنفيذ العقوبات في العام 2006 الذي حمل الرقم 16910، فإن تطبيقه بعيد المنال لصعوبة الشروط التي أوردها باستثناء الحالات الصحية.

الاسباب الصحية للإفراج

يمكن إعفاء المحكوم عليه من بقية عقوبته إذا تثبّتت اللجنة من إصابته في السجن بالإصابة بالعمى أو الفالج أو بأي مرض عضال ميؤوس من شفائه أو بمرض خطير يهدد حياته، أو أصبح مقعداً غير قادر على خدمة نفسه أو القيام بعمل ما، مع العلم أنه لا تشمل هؤلاء الاستثناءات المنصوص عليها في المادة 15 من القانون، وهي الجنايات الواقعة على أمن الدولة وعلى المال العام وتزوير العملة أو تقليدها أو الاتجار بالمخدرات.

قانون تنفيذ العقوبات

قانون اصول المحاكمات الجزائية

تقرير «موجز السياسات المتعلقة بالحبس المؤبد-2018» - المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي وجامعة نوتنغهام البريطانية

تحديد الية تنفيذ القانون رقم 463 تاريخ 2002/09/17 المتعلق بتنفيذ العقوبات

العفو الخاص بمرسوم

أورد قانون أصول المحاكمات الجزائية أصول تقديم طلب العفو الخاص الذي يكون من صلاحية رئيس الجمهورية، بحيث يؤلف مجلس القضاء الأعلى لجنة من ثلاثة من اعضائه للنظر في طلبات العفو الخاص في غير حالات الإعدام، في ما خصّ حالة الحكم المؤبد بأحكام خاصة. وفي حال رفض رئيس الجمهورية طلب المحكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة لا يجوز له أن يجدّد طلبه إلا بعد ثلاث سنوات على إبلاغه قرار الردّ.

تحت القوس

إحراج القضاة؟

■ عمر نشابة

لا شك في أن رواتب الموظفين في القطاع العام لا تكفي لتغطية النفقات المعيشية الأساسية والضمان الصحي وأقساط المدارس والجامعات للعام المقبل(وقد بدأ التسجيل في ظل مطالبة بعض المؤسسات التربوية بالدفع بالعملة الصعبة). ولا شك في ان ذلك يرفع منسوب القلق والتوتر خصوصاً للموظفين الذين يتولون مهام حساسة تتعلق بسلامة وأمن ومصالح اشخاص آخرين.

بعض الأطباء في المستشفيات الحكومية باتوا يعتمدون على مدخول عياداتهم الخاصة، وبعض الضباط والعسكريين أصبحوا موظفين في شركات خاصة في أوقات فراغهم، أما أساتذة المدارس الرسمية والجامعة اللبنانية فمنهم من انتقل الى القطاع الخاص ومنهم من يبحث ليل نهار عن مدخول بالعملة الأجنبية ليسدّ جزءاً من ديونه المتراكمة.

بادر بعض المسؤولين في الدولة مؤخراً الى تعديل رواتب القضاة دون غيرهم ممن يتقاضون رواتبهم من خزينة الدولة. وقد رُفعت رواتب القضاة بطريقة غريبة وبقرار اداري/سياسي مستعجَل واستثنائي. برر البعض هذا التمييز من خلال الإشارة الى الموقوفين بقرارات قضائية والحاجة الى البت في قضاياهم واخلاء سبيل من لا حاجة للاستمرار في توقيفه. ولا شك في ان القضاة، كغيرهم من موظفي القطاع العام، بحاجة الى هذه الزيادة ليتمكنوا من القيام بمهامهم وتغطية نفقات الانتقال الى المحاكم وبعض من حاجاتهم وحاجات عائلاتهم. لكن ألا ينطبق ذلك على موظفين في مجالات أخرى؟

صحيح ان وظيفة القاضي حساسة ودقيقة إذ انه مكلّف بإصدار القرارات والأحكام التي يمكن ان تشمل توقيف أو اطلاق سراح أشخاص مشتبه بهم أو انزال عقوبات سجنية أو حتى اعدام أشخاص اذا ثبت ارتكابهم جنايات بحسب قانون العقوبات. لكن هل يجوز عدّ تلك المهام أولى من مهام الطبيب في المستشفى الحكومي أو الاستاذ في الجامعة اللبنانية او المحقق في الشرطة القضائية أو غيرهم من موظفي القطاع العام؟

القاضي مؤتمن على احقاق الحق وانصاف الناس من خلال تطبيق القانون واتباع تسلسل الإجراءات القضائية بحسب الأصول. والطبيب مؤتمن على صحة المرضى وقد يؤدي علاجه الى نجاة اشخاص من الموت. والمحقق مؤتمن على التحقيقات الجنائية من خلال جمع الاثباتات وتحليلها بدقة.

فهل يجوز ان يرفع راتب احدهم دون الآخر؟ وكيف يقبل القاضي المكلف بإنصاف الناس بهذا التمييز الذي يقدّم حقوقه على حقوق الآخرين؟

اعتقد ان معظم القضاة الشرفاء محرجون لأنهم يدركون أن منحهم زيادات على رواتبهم دون غيرهم امر غير منصف وغير عادل علماً ان رواتبهم الأساسية بعد انهيار قيمة العملة الوطنية باتت لا تكفي لتغطية ابسط النفقات.

زيادة رواتب القضاة قد تساهم في تخفيف العبء المالي لكنها تضع بعضهم في موقع صعب لأن التمييز المجحف يتعارض مع الضمير ومع القيم الأخلاقية والالتزام بمبادئ العدالة والانصاف.

في الواجهة

يبلغ عدد المقيمين في لبنان اليوم 6,700,000 بينهم نحو مليونين يقيمون في العاصمة بيروت التي لا تتجاوز مساحتها الإدارية 20 كم². يشكل ذلك اكتظاظاً سكانياً خانقاً، يضاف إلى أزمات اقتصادية وصحية وسياسية واجتماعية تتفاقم بشكل متسارع منذ عام 2019. الاكتظاظ في ظل الأزمات يستدعي أحياناً تضحيات من المقيمين من أجل العيش سوياً ومراعاة ظروف الآخرين، نظراً إلى ضيق المساحة. لكن، في الواقع، يبدو ان مساحة تفهّم البعض لأحوال الآخرين تضيق ومخالفة القوانين تتزايد. وفي بعض الحالات، لا مجال للنقاش والتفاهم، بل يتفوق التوتر والصراخ واطلاق الإهانات والاعتداء على واجب احترام حقوق الآخرين. نتناول في هذا التقرير بعض الاعتداءات على المساحات العامة في شوارع بيروت واحيائها. اعتداءات بواسطة أعمدة وسلاسل حديدية وأحواض زراعية ودواليب وكتل وبلوكات إسمنتية في كل منطقة وحي وشارع. حتى بات جزء كبير من المساحة العامة ممنوعاً، بالقوة احياناً، على العموم...

السطو على المساحات العامة
ممنوع الوقوف

■ احمد مدلج

توجه طارق، في سيارته، إلى شارع الحمرا لإجراء مقابلة لوظيفة في مؤسسة تجارية. رغم خروجه قبل وقت كاف من منزله في منطقة سن الفيل للوصول إلى الموعد مبكّراً وإعطاء انطباع إيجابي وإظهار مدى جدّيته للحصول على الوظيفة، أخفق في الوصول في الوقت المحدد بسبب زحمة سير خانقة. بعد تأخر نصف ساعة، وصل أخيراً إلى منطقة الحمرا، فواجه مشكلة إيجاد مساحة لركن سيارته. «مواقف السيارات مفوّلة، وعلى طول الشارع سيارات مركونة على وسلاسل حديدية تحجز الأماكن العامة الأخرى». عشرون دقيقة مرّت حتى وجد مكاناً أمام أحد المحلات التجارية يشغله حوض زراعي. ترجّل طارق لإزاحة الحوض، فخرج صاحب المحل غاضباً: «عمي ممنوع تصف هون ما شايف الزريعة؟ ما فيك، بتقطع برزقتي إذا بدو يجي حدا لعندي وما في محل يصف سيارته، شو بدو يعمل؟»، فأجابه طارق بصوت مرتفع: «عمي مش مشكلتي. العالم فوق بعضها وعندي مقابلة لشغل تأخرت كثير وما في باركينغ قريب. هيدا الشارع مش ملكك أو ملك بيك!».

مشكلات كهذه غالباً ما نصادفها يومياً في بيروت. ممنوع الوقوف في الأماكن العامة والجميع يستولي على الطرقات.

الخاص يطغى على العام

يعود حق استعمال الأملاك العمومية، عقارية كانت أم غير عقارية، للجميع، على عكس الأملاك الخاصة التي لا يعود حق استعمالها أو التصرف بها إلا لصاحبها. تشمل الأملاك العمومية كل الأشياء المعدة بسبب طبيعتها لاستعمال الجميع او لاستعمال مصلحة عمومية، وهي لا تباع ولا تكتسب ملكيتها بمرور الزمن (المادة الأولى من القرار رقم 144تاريخ: 1925/06/10). وتعتبر الطرقات والشوارع والممرات والخطوط من الأملاك العمومية (المادة الثانية من القرار رقم 144 تاريخ: 1925/06/10)، أي يعود حق استعمالها للجميع من دون استثناء.

المنفعة العامة هي أساس الاستملاك، وهي استثناء لمبدأ حماية الملكية الفردية بحسب الدستور اللبناني المادة 15 التي تنص: «الملكية في حمى القانون فلا يجوز أن ينزع عن أحد ملكه إلا لأسباب المنفعة العامة في الأحوال المنصوص عليها في القانون وبعد تعويضه منه تعويضاً عادلاً». وللسلطات الإدارية الحق في التعرض للملكية الفردية بهدف إقامة مشاريع ذات نفع عام (كإعادة تنظيم المدن بشق الطرق الواسعة أو بتوسيع القديم منها، وإقامة الحدائق العامة والمستشفيات). والاستملاك هو العمل الذي بموجبه تفرض السلطة على الفرد التفرّغ عن ملكيته العقارية في سبيل المنفعة العامة، لقاء تعويض. وبانتفاء هذه الغاية لا يعود من مبرر للتعرض للملكية الفردية (مادة 1 من قانون الاستملاك رقم 58 تاريخ: 1991/05/29).

هل معاقبة مالك محل تجاري بسبب حجزه موقفاً بطريقة غير قانونية في شارع مكتظ للحفاظ على باب رزقه امرٌ منصف؟

أما في المقابل فإن المخالفات التي نراها من قبل المواطن، والجامعات، والمستشفيات الخاصة، وكذلك الأحزاب والسياسيين؛ من مصادرة للأملاك العامة، ليست فقط لمنفعة خاصة بل مخالفة للقانون. فقد حصر القانون بعض الاستثناءات التي يسمح بها باستخدام الملك العام، وهي:

■ ذوو الاحتياجات الخاصة بحسب المادة 49 من القانون 220 تاريخ 2000/5/29 التي تنص: «يحق لكل شخص مزود ببطاقة المعوق الشخصية وببطاقة الموقف الخاص ان يتقدم الى البلدية (أو أي مرجع مختص) في مركز سكنه بطلب لحجز موقف واحد خاص له في الموقف المخصص لمركز سكنه الأقرب الى المدخل، أو على مسافة اقصاها خمسون متراً إذا لم يتوفر موقف خاص، يمكن ان يكون على الطريق العام شرط ان لا يتعرض ذلك للسلامة العامة».

■ أصحاب المقاهي والمطاعم بحسب المادة 75 من المرسوم الاشتراعي رقم 118 تاريخ 1977/6/30 التي تنص: «يجوز لرئيس السلطة التنفيذية أن يرخص بالإشغال المؤقت أو بوضع البضائع مؤقتاً في الطرق والأماكن العامة أو بعرضها على جوانب الأرصفة والساحات العامة، وله أن يرخص أيضاً لأصحاب المطاعم والمقاهي بأن يضعوا طاولات ومقاعد وكراسي على أرصفة الطرق والساحات المذكورة.

■ الصيدليات، عبر تخصيص موقف للحظة وفق اتفاق بين نقابة الصيادلة ووزير الداخلية والمحافظ، ويتم تقديم طلب الترخيص إلى البلدية.

■ كما حدد قانون البناء رقم 2004/646 في المادة 19 فقرة 1 تخصيص مساحة للمرآب داخل المباني السكنية، وأجاز القانون نفسه في المادة 19 فقرة 4 بإنشاء مرآب إضافي وجامعي للعموم. حدد المرسوم التطبيقي رقم 15874 لقانون البناء في المادة 15 عدد المواقف المتوجبة تبعاً لوجهة استعمال الأقسام ومساحتها. كما نص في المادة 16، الفقرتين الأولى والثانية، على شروط تامين مرآب إضافي زيادة عن المرآب المتوجب قانوناً وشروط إنشاء مرآب جماعي للعموم. ونصت الفقرة الثالثة من المادة 16 على إشغال الأملاك العمومية لإنشاء مرائب عمومية حيث يمكن الترخيص بإشغال الأملاك العمومية (غير البحرية) العائدة لكل من الدولة والبلديات من أجل بناء مرائب للعموم وإستثمارها لأجل محدد بعد موافقة المجلس الأعلى للتنظيم المدني. ويتم الترخيص بإشغال الأملاك العامة بموجب عقود يجريها الوزير المختص، وتصدق بمراسيم تتخذ في مجلس الوزراء بناء على إقتراح الوزير المختص.

■ كما نصت المادة 48 من قانون الرسوم والعلاوات البلدية قانون رقم 60 تاريخ 1988/08/12 على تعيين المجلس البلدي (في بيروت تعود هذه الصلاحية إلى المحافظ كون السلطة التقريرية في المجلس البلدي تعود لمحافظ بيروت بموجب المادة 67 من قانون البلديات اللبنانية المرسوم الاشتراعي رقم 118 تاريخ 1977/6/30) لأماكن وقوف السيارات والآليات في الاملاك العمومية البلدية، ويحدد معدلات الرسم تبعاً لمدة الوقوف، كما يعين طرق ووسائل تحصيله. أما بالنسبة للعقوبة فنصّت المادة 49 من قانون الرسوم والعلاوات البلدية رقم 60 تاريخ 12/08/1988 على أن يتعرض كل من يشغل ملكاً عمومياً بلدياً من دون ترخيص مسبق لغرامة تعادل مجموع قيمة رسمي الترخيص والإشغال علاوة على الرسوم الأساسية المتوجبة، بالإضافة إلى نزع ما هو مخالف.

أما قانون العقوبات اللبناني فقد نص في المادة 751 فقرة 2 على معاقبة كل من «سد الطريق العام دون داع ولا إذن من السلطة بوضعه أو تركه عليها أي شيء يمنع حرية المرور وسلامته أو يضيقهما» بالحبس حتى ستة أشهر وبالغرامة من مئة الف إلى مليون ليرة أو بإحدى هاتين العقوبتين.

مشكلة افراد؟

لماذا هذا العدد من المخالفات؟ هل هي مشكلة أفراد أم قانون؟ هل يمكن اعتبار معاقبة مالك محل تجاري بسبب اقدامه على حجز موقف بطريقة غير قانونية في شارع مكتظ للحفاظ على باب رزقه امرًا منصفاً؟ وهل كان ارتكاب مثل هذه المخالفات عن حاجة أم عن سابق تصور وتصميم؟ وهل الدافع لارتكاب المخالفة هو نفسه عند الجميع؟ هل المؤسسات الخاصة التي تحجز شارعاً بأكمله لمنع الوقوف في الشوارع العامة محقة؟

ظروف عديدة تؤدي إلى الإقدام على ارتكاب المخالفات وفي ظل استفحال الأزمة الاقتصادية والأوضاع المعيشية الصعبة قد يجد المواطن نفسه أمام حلول يعاقب عليها في القانون... في دولة القانون الغائبة.

(ارشيف ـ بلال جاويش)

محافظ بيروت «لقوننة» المخالفات

يعاقب القانون كل من سد طريقاً عاماً وكل من ترك عليه أي شيء (من دون إذن) يعيق المرور أو يضيّق الطريق. فأين مؤسسات الدولة اليوم، في ظل وجود العديد من المخالفات (التعدي على الأملاك العامة) التي يتم ارتكابها في شوارع بيروت؟

يوضح محافظ بيروت مروان عبود لـ «القوس» أن العاصمة تعاني من اكتظاظ سكاني. كما أن سوء التنظيم المدني الذي جاء نتيجة قوانين قديمة، كقانون البناء قبل تعديله الذي أجاز إلغاء المرآب من المباني السكنية، أدى إلى إنشاء العديد من المباني من دون مواقف، وهذا ما دفع سكان المبنى إلى التعدي على الأملاك العامة. ويُضيف: دبيروت بحاجة إلى إعادة تنظيم من أول وجديد. هناك أحياء يجب هدمها وإعادة بنائها، وإجراء دراسة حول كيفية استعمال المساحات العامة. كما يوجد العديد من المواطنين الذين يضعون مركبات قديمة على الطريق العام بغية استعمالها كمستودعات». ولا تقتصر المخالفات، بحسب عبود، على المباني السكنية لحجز مواقف أو أصحاب المحلات التجارية، بل أيضاً على المؤسسات الخاصة كالجامعات والمستشفيات وحتى الأحزاب: "الجامعة الأميركية مثلاً تضع عوائق على الأملاك العامة، وهناك أحزاب تفعل الأمر نفسه لأسباب أمنية.

وهذا غير قانوني، إذ يرتبط بمسألة السيادة والدولة التي يجب أن تفرض القانون وأنظمتها ضمن أراضيها».

«الخوازيق وين ما كان»

يقول عبود الذي يقوم بحملات لإزالتها غالباً ما تواجه مصاعب. بعد إزالة العوائق في الأحياء الشعبية يقوم المواطن بإعادتهم فور مغادرة القوى المولجة إنفاذ القانون. ويلفت المحافظ إلى أن لا صلاحية لحرس البلدية لإزالة المخالفات، لذلك يتم إرسال دائرة السير التابعة لمصلحة الهندسة رغم أن وضع الموظفين صعب ويواجهون صعوبة في الحضور إلى مكاتبهم. وتعود الصلاحية أساساً إلى شرطة بيروت وقوى الأمن الداخلي. «لكنهم لا يعيرون هذا الموضوع أي اهتمام علماً أننا نذكّرهم بأهميته. لكن، من جهة، وضعهم تعبان بسبب الوضع الاقتصادي، ومن جهة أخرى غالبية مرتكبي المخالفات من زعران الأحياء المدعومين». لذلك، يقوم المحافظ بمراعاة كل الأطراف ويلجأ إلى التفاوض مع المواطنين لإزالة المخالفات. إذا لم يكن هناك تجاوب يتم اللجوء إلى الوسائل الجبرية. ففي ظل انهيار البلد وعجز الدولة عن تأمين الكهرباء، كيف ينكم إجراء ضبط في حق صاحب سوبر ماركت صغير لوضعه مولداً على الرصيف العام».

ولفت عبود إلى أنه يدرس إمكان إعطاء تراخيص مواقف لحالات معينة، كشخص لديه محل تجاري أو مطعم، من خلال التقدم بطلب ترخيص لموقف أو موقفين مقابل بدل سنوي. «بذلك فإن مصلحة الفرد والدولة محفوظة. تصبح المخالفة قانونية ونظامية ويتم تأمين مردود لصندوق البلدية». وأشار إلى أن البلدية كانت تتجه إلى بيع فضلات العقارات، أما «اليوم فلا نعتمد ذلك إلّا في حالات اضطرارية للإستفادة من الفضلات في إنشاء مواقف للسيارات في كل حي مما قد يؤدي إلى انخفاض عدد المخالفات.

كما أن هناك توجهاً قيد الدرس لفرض غرامات ورسوم على أصحاب أراضي بور يمكن تحويلها إلى مواقف في حال لم يستخدوها كمواقف عامة.

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com